المشرق

# المضاربات التجاريّة

نظر للاب شرل لوسان اليسوعيّ

كتب سنة ١٦٧٥ احد كبار الاقتصاديين من ذوي العقول النيّرة والمدارك السامية العلّامة ساڤاري في مقدمة بعض كتبه ما تعريبهُ : انَّ من اعتبر عمل الخالق بتقسيمه الخيرات في انحاء المعمور لا يشكُّ في انهُ تعالى اراد بذلك ان يجمع القلوب في الالفة البشريّة على الوداد والتحاب ومن ثمَّ لم يشأ ان يجد الانسان في مكان واحد كلّ ضرورات معاشه بل اعطى كلّ بلدٍ قسماً من المرافق لتأتلف بذلك الشعوب وتدفع بهم الى المؤاخاة حاجة بعضهم الى بعض · فانَّ الحياة البشريّة لا تهنأ الّا بوفرة الخيرات ولا تتوفّر الخيرات بدون المعاملات التجاريّة والمقايضات (١

لعمري انَّ هذا الكلام منطوق الحكمة عينها وهو ينبئ بمقصود المتاجرات السامية ويثبت شرف غايتها · ولا جرم لانَّ الخالق اذ قضى على الانسان بالشغل لينال خبزهُ بعرق جبينهِ لم يشأ ان يبهظهُ تحت ثقل حملٍ لا يطيقهُ ولذلك قسَّم الاشغال بين افراد الجنس البشري لينال كلٌّ منهم حسب شغلهِ نصيباً وافراً من الارزاق المتنوّعة بواسطة المبادلات والتجارة · وبتقسيم الاشغال تتوم سنَّة الحبّ بين البشر لانَّ كلَّ فئة منهم لا يكتفي بطلب منفعتهِ الخاصَّة بل يشتغل للعائلة البشريّة كلّها وتنمو الخيرات دون ان يُنزَع عن احد رزقهُ

فيحصل من هذا المبدإ العام انَّ المتاجرات من اقوى دواعي العمران واشدّ الضوامن للسلام بين الدول الّا انَّ هذه المعاملات تقتضي سنناً ثابتة وقرائن راهنة اذا

١) راجع كتاب ساڤاري في مثال التاجر (le parfait Négociant)

عدل عنها المرء أدّت به الى تشويش نظام الخالق وفتحت التاجر باباً واسعاً لظلم العباد

والحقّ يُقال انّ اجدادنا كانوا يبنون معاملاتهم التجاريّة على تعرفة معلومة لم يتجاوزها اهل البيع والشراء فكانوا حدّدوا لكلّ سلعة ثمنها مع مراعاة احوالها من نقل ومصاريف وشغل وخسارة وضرائب وربح معتدل بحيث يمكن البائع ان يستفيد من تعبه ولا يُغبَن المشتري بتأدية الاثمان الفاحشة وكانت الحكومات اذا اقتضى الامر ذلك تضرب على ايدي المتبايعين عند تجاوزهم طورهم او تدافع عن حقوقهم وتردّ عنهم المزاحمات الجائرة التي تبخس تلك الحقوق

على أنّ ارباب التجارة منذ زمن قريب لم يقنعوا بهذه المكاسب العادلة ولمّا رأوا في اسواق التجارة اموالًا وافرة وخيرات زائدة طمح فكرهم الى الاستغناء القريب والاكتساب العاجل ولاذوا بالمضاربات الخطِرة فصارت اثمان السلع بعد ثبوتها تتقلّب بين صعود وهبوط ورخص وغلاء لا تقرّ على قرار . واضحى التاجر متحيّرًا قلقًا لا يعلم على ايّ قاعدة يبني حسابهُ لانّ قيمة السلع لم تَعُد تقاس حسب ثمنها بل على مقتضى رواجها ورواجُها منوط في الغالب بذوق الزبائن وتغيير الازياء حينًا بعد آخر فترى اصحاب الزيّ الجديد يقبلون اليوم على بضاعة وينفقون عليها النفقات الطائلة ثمّ يهملونها في غدٍ حتى يكسد سوقها فلا تُباع بنصف حقها . وهكذا اصبحت البضائع في ايدي المشترين كالالعوبة في ايدي الطفل يتلاهى بها قليلًا ثمّ ينبذها نبذ النواة وقد حصل من هذه التقلّبات انّ صاحب التجارة صار يجري على اهواء المشترين فيلتجئ الى المضاربات والتخمينات ومزاحمة رصفائهِ بايّ واسطة كانت تارةً بالتزوير والتمويه وتارةً بالاشاعات الباطلة والاعلانات الكاذبة فيُصبح اهل الذمّة والاستقامة في خمول وتبقى بضائعهم في زوايا مخازنهم خاملةً ولا يلبثون ان يبيعوها بصفقة خاسرة الى ان يضطرّهم سوء الحال الى تصفية محلّهم

ولعلّ القارئ يوقفنا هنا فيقول ألَا ترى ما في المزاحمة من الفوائد فلولاها لبقي ارباب التجارة والصناعة على اساليبهم القديمة دون أن يترقّوا مع اهل عصرهم فلا ينالون جدوى من الاكتشافات الجديدة والاختراعات المستحدثة

قلنا انّنا نقرّ بفضل هذه الاختراعات وبما ادّتهُ من الخدم للمعاملات التجاريّة سواء كان بوضع آلات جديدة سريعة العمل او باستنباط موادّ بخسة الثمن قريبة المنال

ومن ثمَّ ان تأخر ارباب الحرف عن استعمالها فلا يحقُّ لهم ان يلوموا الَّا نفوسهم . لكن الامر ليس كذلك غالبًا فان كثيرين من اصحاب المعامل وكبار التجار حفظًا لسمعتهم القديمة ومراعاةً لبراعتهم المشهورة ارادوا ان يحسّنوا مصنوعاتهم وفقًا لهذه الاكتشافات فتكلّفوا المال الكثير لجلب الادوات ولم يدَّخروا وسعًا في اكتساب رضى زبائنهم ومجاراة احذق العمَّال . لكنَّ مساعيهم ذهبت مع ذلك ادراج الرياح لانَّ المزاحمين ليس همهم في الغالب جودة العمل بل البهرجة والرونق الظاهر فيبيعون البضائع باثمان بخسة لا توافق التجار المستقيمي المعاملة . أَلا ترى مثلًا في بلاد الشام رواج بعض البضائع الاجنبيَّة فالكل يتهافتون عليها مع انها دون منسوجات دمشق وزوق وحلب في صفاقتها وحسنها . وما ذلك الَّا لهوادة اسعارها . وكذا قل عن طنافس العجم وسجادات ازمير وعكّار التي تبقى دهرًا دون ان تبلى او تبور الوانها فيتوارثها الابناء عن اجدادهم ومع هذا ترى الاكثرين يفضّلون التقليدات المستحدثة لرخص اسعارها

فهذه الاسباب وغيرها من جنسها صارت كضربة لازبة سقطت لاجلها بيوت عامرة وافتقر كثيرون من اهل الثروة الذين اقفلوا محالَّهم وعاشوا معتزلين في دورهم قاطعين الرجاء من دنياهم ومنهم من طلب الخِدَم العموميَّة فضاق عنهم نطاق الاشغال . ومنهم من اخلد الى البطالة . وما ادراك ما البطالة هي رأس كل الآثام وباب كلّ الفظائع

*

وما المضاربات التجاريَّة الَّا ثمرة هذه الحالة السيئة لانَّ كثيرين اذ رأوا سبل المكاسب المعتدلة مقفلة في وجههم استبدلوها بهذه المعاملات الخطرة متهوّرين فيها ا لهم واماً عليهم . وكانت هذه المضاربات سابقًا محصورةً في بعض الحدود الَّا ان لطمع وسَّع الخرق وزاد الشرَّ تفاقمًا لا سيَّما بعد ان رأى المضاربون بعض رصفائهم قد لغوا بهذه المقامرات الى ثروة ولسعة في وقت قريب فلم يعودوا يقفون عند حدّ تجاروا في هذا المضمار لا يردُّهم عنان ولا يثنيهم صوت منذر

على انا بقولنا السابق لا نريد كون المضاربات التجاريَّة على اختلاف اجناسها تؤثم رء وتثقل ذمَّتهُ بتبعة الخطيئة . كلَّا فانَّ المضاربات من ذاتها ليست حرامًا كما انها ـيعة العهد جدًّا . فانَّ يعقوب اذ باع من اخيه عيسو حقوق البكوريَّة بأكلة من

العدس أنّما ضاربهُ مضاربةً . وكذلك يوسف الحسن ضارب المصريين اذ جمع قمحهم في اهراء فرعون باثمان متهاودة في سبع سني الخصب ليبيعهم ايّاه بثقل الذهب في سني المجاعة . فمن يزعم انّ ذلك اثم ؟

والمضاربات تكون على صور شتّى لا يفي بها احصاء. ولا يكاد يخلو منها عمل تجاري او صناعي . فانّ الزارع اذ يجلب الماء الى حقله بكلفة كبيرة رجاء تحسين ارضه يأتي بصنفٍ من المضاربات . وكذلك يضارب ربُّ البيت الذي يشتري جزافاً موُنة بيته ليتلافى النقص والمجاعة . ومن ذلك مضاربات الحكومة فانّها مثلاً اذا رأت بوادي مهملة تؤمّل اصلاحها بالحضارة فانها تنشئ فيها سككاً حديديّة لتعمر بالسكّان . وبوجيز القول انّ المضاربات قوام التجارة وحياتها ان بقيت في حدود معلومة . ولا غرو فانّها هي التي تجعل بعض الموازنة بين البلاد فتنقل ما يزيد في بلد لتسدّ به عوز بلد آخر ولولاها لقُضي على بعض جهات المعمور بفقر موَبّد واصبحت غيرها في خصب زائد لا تستفيد به شيئاً من الارباح

وربّما كانت المضاربات نجاةً من مخالب المحتكرين لبعض السلع ووسيلةً لاختراعات عجيبة كما حدث للمعدِّنين الكبريت في صقلية فانّ شركتهم رفعت اثمان الكبريت الى حدّ فاحش فاخذ الكيمويون يبحثون عن وسيلة لاستنباط هذا المعدن فوقفوا على طريقة استحضاره من الحامض الكبريتي المكنون في معادن البيريت

فترى انّ للمضاربات التجاريّة منافع جمة ومن ثمّ لا ننكر صلاحيّتها بالاجمال وانّما ننفي مضارّها الناجمة عن سوء استعمالها اذ صارت كالسيف الذي يجرح صاحبهُ بدلاً من ان يردّ عنهُ هجمة العدوّ . والمضاربات التي شاعت اليوم اصبحت آفةً للهيئة الاجتماعيّة بعد ان كانت مسهّلةً لاسباب الالفة مدعاةً لنموّ الخيرات . امّا تعليل هذا الاختلاف فلما صارت اليه هذه المضاربات الحديثة من سوء الاحوال وما اتّصفت به من الاوصاف المستقبحة

واوّل هذه الخواص السيئة انّ المضاربات اصبحت اليوم إلزاميّةً فانّ التجّار اذ رأوا انّ المقايضات لم تَعُد تأتي بالارباح المأمولة وانّهم لو ارادوا تصريف بضائعهم لما امكنهم ذلك الّا بالخسارة لما يلحقهم من النفقات في جلبها ونشر الاعلانات عنها

وتهويد الاسعار لمزاحمة رصفائهم اضطرُّوا الى استبدالها بالمضاربات موءملين منها الارباح القريبة وتركوا العمل الشخصيّ والهمّة الذاتيّة التي تؤدي بالمرء الى التقدّم وتصون ماء وجهه بالعزّ والشرف فخاطروا بمالهم امّا بتسليمه لبعض المصارف التي تعدهم المواعيد الطائلة والمكاسب العظيمة وهي قائمة على جرف هار او وضعوا معظم ثروتهم في اشغال هوائيّة محفوفة بالخاطر معرَّضة لتقلّبات سريعة غير منتظرة. وان سألتهم عن سبب سلوكهم هذا واظهرت لهم غلطهم اجابوك: « انّ التجارة لم تعُد تفي بحاجاتي ولعلّها تؤدي بي الى الافلاس فالاولى بي ان أُخاطر بمالي فان رجحتُ والّا فلا مناص من الافتقار »

والآفة الثانية اللاحقة بهذه المضاربات أنّها اضحت اشبه بالمقامرات. لأنّ عمليّاتها ليست مبنيّة على اثمان السلع في ذاتها بل على اثمانها الحاضرة الوهميّة فترى المضاربين حول موائد البورصة يتلاعبون بمال الناس الذين عهدوا اليهم بثروتهم على امل الربح فتارةً يضمنون القطن وحيناً يحتكرون السكّر فيبيعون ويشترون ويصعدون الاسعار ويهبطونها املاً منهم ان يكسبوا قيمة فرق الاسعار وربّما ذهبت آمالهم سدًى وبينا يؤملون الربح الوافر تراهم يخسرون كلّ اموالهم فينزلون من اوج العزّ الى قعر المسكنة. ولا حاجة لوصف هذه المضاربات وكيفيتها وقد كتب فيها جناب الاديب ميشال افندي الياس سماحه فصلاً حسناً نشرهُ في المشرق (٧ : ٣٢٦–٣٣١) فنحيل القرّاء الى مراجعتهِ. وما لا ينكر انّ المعاملات التجاريّة اضحت اليوم ملعباً في ايدي المقامرين لا تضمن بثروة ثابتة لمن يجعل مالهُ في قبضتهم وكأنّي باسواقها اشبه ببلاد كلابريّة التي دهمتها الزلازل منذ زمن قريب فلم يَعُد سكّانها آمنين على حياتهم والارض تميد بهم وتضطرب او تشبه السراب الذي ينخدع بهِ المسافر في البريّة فيموت عطشاً في الساعة التي يؤمل فيها الرواء وشفاء غلّته

وفي المضاربات الحديثة آفة ثالثة وهي كونها مهملة في ايدي بعض الافراد لا ضامن لها من قبل الدولة او الحكومة. ولمّا كان هؤلاء الافراد في الغالب قليلي الذمّة خالين من الاستقامة تراهم يقلبون في ساعة قيمة البضائع ظهراً لبطن فحيناً يحتكرون السلعة فيرفعون اسعارها ويحوجون المشتري على ابتياعها. وبخلاف ذلك اذا احتاجوا اليها بخسوا اثمانها ولشاعوا بعدم رواجها ليشتروها من ضامنيها دون قيمتها فيكسرون مزاحمهم

ويزيدون زيادةً لاعتبارهم كما يزعمون. على انَّ نوائب الدهر واقفة لهم بالمرصاد وكثيرًا ما يقعون في المغواة التي حفروها لغيرهم. وبسقوطهم يسقط الوف من الناس الذين سلَّموهم ثمرة اتعابهم وارباحهم مدَّة سنين طويلة فيندمون على فعلهم ولات ساعة ندم. ولنا في مسألة السكَّر مثال حديث يثبت قولنا (راجع البشير ٢١ آب ١٩٠٥)

وكلُّ هذه الآفات اللاحقة اليوم بالمضاربات التجاريَّة جعلت احوال المجتمع الانساني في خطر دائم حتى اصبح الناس يتمنَّون رجوع الاحوال القديمة وهيهات ان تعود بعد دخول هذه المقامرات في حياة الشعوب وانتشار الغشّ والخداع في المعاملات اليوميَّة امَّا نحن فنصادق على كلام فرنكلين الشهير حيث قال: «اذا اتاك احد يبشّرك بالغنى القريب دون شغل واقتصاد فلا تُصغِ اليهِ بسمعك فانَّهُ مكَّار خدَّاع»

ومجمل القول أنَّ المضاربات لا غنى عنها في التجارة على شرط أن لا تتجاوز طورها فتبقى أمةً للتجارة مساعدةً لها دون ان تتسلَّط عليها كالسيدة وتقوم مقامها ولولا بقاؤها عند حدودها تضحي من اكبر آفات الهيئة الاجتماعيَّة وتعرّضها لضروب المخاطر وان سأل القارئ هل من دواء لاصلاح المضاربات الخطرة اجبنا ان ذلك لصعبٌ جدًّا وانَّما تستطيع الحكومات ان تسنَّ لها سننًا عادلة لتتلافى اضرارها وتصدَّ التلاعب والخداع بين المضاربين. وقد اطلعنا على قوانين الدولة العليَّة في هذا الشأن فرأيناها مملوءة حكمةً فلا يبقى لاهل بلادنا الَّا ان يتأمَّلوها ويجروا على حسب منطوقها فتزدهر التجارة وتتحسن الاحوال في ظلّ المتبوع الاعظم حقَّق الله آمال جلالته لخير رعاياه

رحلة

# اول سائح شرقي الى امركة

(١٦٦٨–١٦٨٣)

عُني بنشرها وتعليق حواشيها الاب انطون ربَّاط اليسوعي (تتمَّة)

٤٨ الذهاب الى مكسيكو (Mexico) او (Mejico) — وصف القرمز

ثم سافرنا الى قرية سانا تيتيبك التي تبعد ستة فراسخ ثمَّ الى قرية استيتيبك تسعة فراسخ ومنها الى قرية اقانيتبك ثم الى بلد خلايا وفي هذا البلد كان حاكم يسمَّى دون خوان

بيتيا وهذا كان عمهُ كاتب ديوان الهند وكان قوي صاحبي . ولمَّا سمع بقدومي خرج فرسخين خارج البلد للاقاتي واستقبلني بعز واكرام واترلني في دارهِ وبالقرب من هذه البلدة جبل فيهِ جلالية يشلّحون بعض الاوقات وينهبون عابري الطريق فارسل معي الحاكم اثنين من الجنود ليخفراني في معبر ذلك الجبل . فعبرناه بمعونة الله بغير ضرر ووصلنا الى قرية تسمى تكيسيا على اربعة فراسخ ومن هناك الى قرية صان خوان ديلاكوصتا اثني عشر فرسخاً ثمَّ الى قرية ينخابا خمسة فراسخ ثم الى قرية سان ميكاييل عشرة فراسخ ثمَّ الى قرية سان لوكس ثلاثة فراسخ ثمَّ الى بلد واغاكا (Guaxaca) ستة فراسخ وفي هذا البلد كان رجل وجيه من اسبانية لهُ اخ في ليما يخدم عند الوزير صاحبي المعزول . فهذا كان اعطاني مكتوباً الى اخيه الذي في واغاكا . فلمَّا قربت من هذه البلدة ارسلت لهُ المكتوب فقام هذا الشريف وطلع خارج البلد فاستقبلني بفرح واخذني الى البلد واترلني في بيت كان هيَّأهُ لي . وكان اسقف هذه البلدة قد توفي وبقي كرسي الاسقفية فارغاً وكان هناك ورديان (Gardien) اعني رئيس كهنة . فهذا المبارك لمَّا كان آتياً من الهند الى اسبانية وقع اسيراً في الجزائر فسهل لهُ الله فأعتق وصار رئيساً على قسوس هذه البلدة وكانت لي معهُ صحبة واكرمني غاية الاكرام وكان اسمهُ دون ديونسيو . واما هذه البلدة فهي غنيَّة بالعمائر والكنائس لا سيما دير مار عبد الاحد وباقي ديورة الرهبان ومارستانات المرضى والكنيسة الكبيرة فاخرة للغاية وغير كنائس أخرى وانا كان معي خرجية مقدار ثمانمائة غرش فاودعتها عند صاحبي المذكور المسَّى دون فرنسيسكو ده كاسترو حتى يتسوَّق لي بها قرمزاً لان في هذه البلدة ونواحيها يطلع القرمز يلصق في بعض اشجار ذات ورق سميك مثلما ذكرنا سابقاً فيلتصق مثل الدود في الورق ويصير مثل حب الجدري ثم في حين بلوغهِ يستخرجونهُ ويضعونهُ في فرن حامٍ فييبس وينطفئ . وبعد ذلك ييبسونهُ

ومن بعد خمسة عشر يوماً خرجت من هذا البلد قاصداً ميخيكو (Mexico) المذكورة حيث يجلس وزير الملك فبعد اربعة فراسخ وصلنا الى ضيعة تسمى ايتا ومن ايتا الى طاطو ستة فراسخ . ومنها الى اوانيتيك خمسة فراسخ ثمَّ الى قرية صان انطون فورسخان ثم الى قرية كوس خمسة فراسخ . ثم الى سان سابصطيان خمسة فراسخ . ثمَّ الى قرية تيواكان اربعة فراسخ ثم الى ضيعة اناخوتيبيك خمسة فراسخ . ثمَّ الى قرية

تبيا كا سبعة فراسخ ثم الى مدينة بوبولا ده لوس انخلوس يعني مدينة شعب الملائكة ( La Puebla de los Angelos ) ستة فراسخ فجزتُ الى هذه البلدة ونزلت عند رجل من اصحابي . وهي بلدة كبيرة مفرحة بالقصور وبالعمائر وغنيَّة بالكنائس مثل الكنيسة الكبيرة التي هي غنية جداً بالعمارة والفضة والذهب والذخائر المقدسة ويسكن الان في هذا البلد اسقف يسمَّى دون عمانوييل ده ساناتا كروس وهو رجل عالم وخائف الله ولهُ معبور في كل سنة ثمانون الف غرش . وايضاً في هذا البلد ديورة من جميع طوائف الرهبان

## ٤٩ وصف مكيكو

ثم بعد يومين خرجت متوجهاً الى بلد ميخيكو التي هي بعيدة من هذه البلدة نحو اربعة وعشرين فرسخاً فوصلتُ اليها ودخلت الى المدينة ونزلت عند احد اصحابي كان معي مكتوب لهُ من بلد واتامالا فقبلني بالعز والاكرام . فمن بعد يوم وقعتُ مريضاً وبقيت عشرة ايام في الفراش . واما وزير هذه البلدة فكنت احضرت لهُ مكتوباً من قريبهِ الوزير صاحبي الذي كان في البيرو . فبقي يرسل الي حكماءهُ ليشرفوا عليَّ . وبعد عشرة ايام تعافيت بعناية الله وقمت نحت الوزير وزرت امرأته فاستقبلاني ببهجة ووجه بشوش وعرض عليَّ الوزير ان اسكن عندهُ في السرايا فاستكثرت بخيرهِ وشكرت فضلهُ على ذلك وما اردت انزل عندهُ بل استكريت لي بيتاً بثلاثمائة وستين غرشاً في السنة واشتريت لي عربانه وبغال بستمائة وخمسين غرشاً ثم ابتديت اروح ازور الاشراف فزرت اوَّلًا مطران البلد ثم زرت باقي الاعيان فالمطران . اعطاني دستوراً ان اقدّس اينما اشتهي خاطري وفي كل ليلة وقت المغرب كنت اروح القش ( التحدث ) عند الوزير مقدار ساعتين وارجع الى بيتي . واماَّ هذا المكان فهو ارض واطية وفي جانب هذه البلدة بحيرة ماء نابعة من الارض . وفي بعض السنين امطرت مطراً زائداً فغرقت البلدة وكثير من البيوت امتلأت ماء وسقطت وهذه الارض ما لها اساس ثابت . وايش تكلم عن الكنائس التي في هذه البلدة وعن شرف وحسن بنائها وزيادة غناها وهو شيءٌ لا يوصف . لان في هذه البلدة ثلاثة ديورة لرهبان مار افرنسيس وديرين لرهبان مار عبد الاحد وديرين لرهبان اليسوعيَّة وثلاثة ديورة لرهبان مار اغسطينوس وديرين

لرهبان المرسي ومارستانات لمداواة المرضى وسبعة عشر ديرًا للراهبات وديرًا للرهبان الكرملتانيين . والكنيسة الكبيرة وغير كنائس أُخر عديدة

٥٠ كنيسة العذراء العجائبية

وخارج البلد بنصف فرسخ يوجد كنيسة على اسم مريم العذراء تسمَّى وادالوبي (Guadeloupe) . وذكروا لنا انهُ بعد دخول السبنيولية الى هذه البلاد بايام قليلة بينا كان احد الهنود المسمَّى خوان ديكو دائرًا خارج البلد اذ ظهرت له امرأة جليلة بهيَّة في غاية الجمال وقالت لهُ اذهب الى مطران البلد وقل لهُ ان يبني لي بيتًا في هذا المكان . فارتعد الهندي المذكور من ضياء نور وجهها وراح عاجلًا مثل ما رسمت تلك الست وقال للمطران كل ما امرت بهِ . فلمَّا تأمل المطران في هذا الهندي وفي حالتهِ الزريَّة وثيابهِ الحقيرة امر بطردهِ فرجع هذا المسكين خائبًا ومطرودًا الى المكان الذي تكلمت معهُ تلك السيدة الجليلة . فظهرت لهُ مرَّة ثانية في المكان المذكور وقالت لهُ كقولها الاوَّل ان يرجع الى المطران ويقول لهُ كما امرتهُ فاطاع . امرها وراح ثانية عند المطران وعرض عليهِ كل ما امرتهُ تلك الست فاحتقرهُ ايضًا المطران وامر بتهجيجهِ وطردهِ فرجع محزونًا ومطرودًا الى ذلك المكان . فظهرت لهُ الست ثالث مرَّة وقالت لهُ : لماذا لم تعمل الذي امرتك بهِ . فاجابها قائلًا : ياستي قد فعلت مرسومك ورحت مرتين عند المطران وعرضت عليهِ كل ما امرتني لكن هججني وما صدقني . فقالت لهُ : امضِ اليهِ ثالث مرَّة وقل لهُ كل ما امرتك ودونك هذا الورد خذهُ معك الى المطران ليصدق قولك . ثم ناولتهُ الورد وكانَ غير اوانهِ . فاخذ ذلك الهندي الورد وجعلهُ في الرداء الذي كان ملتحفًا بهِ وقصد بيت المطران فلمَّا نظرهُ الخدَّام وعرفوهُ هججوهُ وطردوهُ . فقال لهم : لاجل الله اتركوني اتكلم مع المطران لان عندي هدية من عند الست الاسبنيولية اهديها لهُ . فاعلموا المطران بذلك فامر بدخولهِ فلمَّا وقف بين يديهِ قال لهُ : ياسيدي الست ارسلتني اليك ثلاث مرَّات وتقول لك ان تبني لها بيتًا في المكان الفلاني وها قد ارسلت لك هذا الورد حتى تصدّق قولي وتتيقَّن انها هي ارسلتني اليك . فلمَّا رمى الهندي الورد من ردائهِ ونظر المطران لهذا العجب لانهُ ما كان زمان الورد وزاد عجبهُ اذ نظر صورة مريم العذراء قد ارتسمت في رداء الهندي وكان ذلك الرداء من شال سميك . حينئذٍ جثا المطران على ركبتيهِ امام هذا الهندي وطلب منهُ الغفران وعاجلًا

تخاطفوا ذلك الورد من ذلك الهندي بحيث ارتسمت صورة العذراء في ردائهِ ثم شلحهُ المطران الرداء المذكور بزياح ودق النواقيس ووضعهُ في المذبح الكبير بفرح وعيد عظيم وخرجوا الى المكان المذكور وامر المطران بعمارة الكنيسة في المكان الذي ظهرت فيهِ للهندي المذكور وسماها كنيسة مريم العذراء ده وادالوبي . والهندي خوان ديكو المذكور كل حياته في خدمة العذراء في تلك الكنيسة وتنيح مثل الطوبانيين . وهذه الكنيسة خارج عن البلد ميخيكو بنصف فرسخ كما ذكرنا وهي غنية جداً بالفضة والذهب والبدلات المثمَّنة حتى ان درج المذبح الكبير وهو تسع درجات صنعوهُ من فضة والعواميد التي على المذبح ايضاً من فضة فمن حدّ هذه الكنيسة الى داخل هذه البلدة قد عمروا مثل الجسر بعلو ذراعين من سبب ان تلك الارض في ايام الصيف لمّا تمطر تصير كلها بحيرة فما يمشون الاّ على ذلك الرصيف لان في ذلك البلد يبدأ المطر من اول شهر ايار الى آخر شهر ايلول بخلاف عوائد وطقس بلادنا

١٥ هجوم المراطقة على اسكلة ويراكروس

وانا فبقيت مرتاحاً في هذه البلدة نحو ستة اشهر حتى وصل مركب من اسبانية واحضر جملة مكاتيب من التجار الى شركائهم وفي هذا المركب جاء رجل محتال وجعل نفسهُ انهُ قادم من طرف الملك ليفتش على المذنبين وياخذ محاسبة من خزندارية الملك فهذا الشقي رمى خوفاً في قلوب كثيرين من المذنبين . اماً الوزير فانهُ لمّا سمع كتب الى حاكم الاسكلة ان ينظر في الاوامر التي معهُ فما اراد ان يظهر اوامرهُ فعلم الوزير انهُ كاذب محتال فارسل خلفهُ جنوداً ليحوشوه فوجدوهُ وامر الوزير بحبسهِ . وبتلك الايام جاء بعض مراكب قرصان الى مينا ويراكروس ( Vera Cruz ) وكانوا كلهم هراطقة مجتمعين من كل اجناس الطوائف فوصلوا في الليل وخرجوا للبر بعيداً عن الميناء بفرسخ ودخلوا البلد مثل اللصوص لان ليس للاسكلة سور وعبروا الى بيت حاكم البلد وحبسوهُ . وبعد ذلك دخلوا واخرجوا الناس رجالاً ونساء وحبسوهم في الكنيسة الكبيرة وسكروا عليهم واقاموا حراساً على الابواب وابتدأوا ينهبون ويسلبون الديورة والكنائس والبيوت مقدار ثلاثة ايام . ثم اخرجوا الناس من الكنيسة وحملوهم مال النهبة وساقوهم الى حيث كانت المراكب راسية بعيداً نحو نصف فرسخ وحملوا المال وجميع الرجال والعبيد في هذه المراكب واخذوهم الى جزيرة قريبة من ذلك الميناء

نحو فرسخ واتركوهم هناك وقالوا لهم اماً ان تعتقوا ارواحكم او نقتلكم جميعاً . وقطعوا عليهم مائة وخمسين الف غرش فارسل هولاء المساكين من جانبهم الى مدينة البوبلا المذكورة (Puebla) ليحضروا عتاقهم . فمن بعد عشرة ايام قدموا لهم المائة والخمسين الف غرش فأعتقوا الناس السبنيولية واخذوا العبيد السود وجميع المال الذي نهبوهُ من هذه البلدة مقدار ثمانية مليونات وكان عدد هولاء القرصان الجلالية ستمائة نفر والسبنيولية مع عبيدهم كانوا ازيد من اربعة الاف نفر . وكان الرئيس على القرصان رجل هرطوقي لهُ رفيق وشريك اسبنيولي يسمى نسيليو فتخاصما على قسمة المال ما بين الاثنين فقتل نسيليو الرئيس الهرطوقي وانتصب عوضهُ رئيساً على القرصان . وانا كان لي في هذه البلدة حمل قرمز اشتريتهُ من واخاكا بالف غرش فنهبوهُ من جملة الاموال . وبينما هولاء القرصان في تلك الجزيرة اتت المراكب من اسبانية وفي دخولها الى المينا، ارسل الوزير فاعلم الجنرال حقيقة الحال ليحارب قبل دخوله المينا، اولئك القرصان ويحرقهم . فنصب الجنرال بيرقاً ليجمع عندهُ روساء كل المراكب ويعملوا ديواناً ويحطوا خطوط اياديهم حتى لا يكون الجنرال مذنباً وحدهُ لان مراكبهُ كانت موسوقة بضائع فخاف ان يغرق لهُ مركب او يحترق في المحاربة . فلمَّا ابتعد من المينا، واجتمعوا وعملوا ديوانهم نظر اليهم نسيليو فنصب قلاعهُ وسافر وهو يضحك على المراكب السبنيولية وخرج امامهم من غير خوف بعد ما اخذ معهُ ازيد من الفي اسير مع عبيد سود ومنهم حمر وكان ذلك في تاريخ سنة ١٦٨٣ مسيحيَّة

٥٢ من المكسيك الى بغداد عن طريق الصين

فمن قبل هذا التاريخ بمقدار مائة سنة على زمان فيلبه الرابع ملك اسبانية سافرت مراكب من ينكي دنيا الى نواحي الصين فرأوا جزيرة واكتسبوها وجعلوا اسمها فيلبيناس (Philippines) على اسم الملك المذكور وسكن هناك اسبنيولية وراحت في غير سنين الى هذه الجزيرة مراكب مع عدة قسوس ورهبان وتلمذوا اناسها وردُّوهم من الوثنيَّة الى ايمان المسيح (١

---

١) لم يصب مؤرخنا المرى في تعيينهِ لزمن اكتشاف هذه الجزائر فان مكتشفها هو روبس لوبس دى فيلالوبس سافر سنة ١٥٤٢ من المكسيك وبلغ هذه الجزائر بعد شهرين ولم يتملَّك عليها الاسبانيول الَّا في سنة ١٥٦٠–١٥٧٠ وقد عُرفت مذ ذاك باسم فيلب الثاني ملك اسبانية

ومن هذه الجزيرة يجي في كل سنة مركب الى ينكي دنيا ملآن من بضائع بلاد الصين فيصل من هذه الجزيرة الى ينكي دنيا بثمانية اشهر لكنهُ في العودة يرجع بثلاثة اشهر (١ وايضاً كل سنة يروح الى تلك الجزيرة مركب من بلد سورط (٢ الى تجار ارمن يسمون جلفاليه (٣ ساكنين في هذه الجزيرة — وهم اثنان — يأخذون مال هذا المركب ويدينونهُ للسبنيولية لوعدة سنة . ففي كمال السنة يجي مركب من سورط فياخذون من السبنيولية دراهم العام الاوَّل ويعطونهم ايضاً لمثل هذه الوعدة الرزق الجديد . ولا يُعطى دستور لغير طوائف فلا يجي مركب الى هذه الجزيرة سوى المركب

---

١) لمَّا توطدت سلطة اسبانية على بلاد الهند الغربي (البيرو والمكسيك) والشرقي (الهند وجزائر الفيلبين الخ) اراد التجار في كل من مدن مانيلا (Manille) وليما (Lima) ان يربطوا الهندين معاً بطريق البحر تسهيلًا للمواصلات التجارية وتقريباً للمسافات الشاسعة . فنجح سعيهم وجعلت المراكب تسير بين العالمين حاملة من امركة الى الصين والهند الشرقي ما امتازت بهِ من المحصولات والفضة والذهب نقوداً وسبائك فتعود محملة بضائع الصين من مصاغات وحرائر واقمشة وابازير وتوابل وعطريات وقد اشتهرت الجوارب الحريرية التي كانوا يأتون منها كل سنة بخمسين الف جوز . اما مدَّة السفر فكانت تختلف مع الطريق فيقلع المركب من ميناء الكالاو (Callao) في اواسط اذار متتبعاً الارياح الموسمية المسماة (Alizés) التي تهب من الشرق للغرب فيبلغ مانيلا في اقل من شهرين لكن العودة صعبة كانت تستغرق من عشرة اشهر الى اثني عشر شهراً فارشدهم احد الاباء اليسوعيين الى الانتفاع من الارياح المضادة فجعلوا يخرجون في تموز من مانيلا فيسيرون نحو الشمال الى ان يلتقوا بالارياح الغربية التي تهب في تلك الاصقاع فتدفعهم الى شطوط كاليفورنية والمكسيك بين شهر ك ١ و ك ٢ فيحطون في ميناء اكابولكو (Acapulco) في المكسيك

٢) نظنهُ يريد مدينة (Surate) في شمالي مقاطعة بمباي في خليج كامباي الذي دعاهُ ابن بطوطة كنبايَت وقد وصف مدينةً بهذا الاسم وذكر سعة تجارتها . اما سورط او سورات فهي مدينة حديثة لم يكد ياتي ذكرها في كتب العرب لان اشتهارها لم يسبق اوائل القرن السابع عشر حيث اصبحت ملتقى تجارة المغول والفرس فاقامت فيها الشركات الانكليزية والافرنسية والهولندية فروعاً مهمة وكان فيها رسالات دينيَّة لليسوعيين وغيرهم

٣) يريد على زعمنا النسبة الى جلفا (Julfa) وهو حي او محلة في جوار اسبهان بناه شاه عباس في اوائل القرن السابع عشر واجلى اليها سكان مدينة جلفا القديمة وسماها باسمها جلفا وما لبثت ان اصبحت مدينة مهمة امتدت الكثلكة بين سكانها الارمن الكثيرين وتعددت الرسالات للرهبان اللاتين فاتت بالثمار خلاصيَّة ذكرنا شيئاً منها في الجزء الاول الصفحة ٨٢–٩٢ من مجموعتنا المعنونة Documents inédits pour servir à l'Histoire du Christianisme en Orient. Prix 6 f. (Picard à Paris, Luzac à Londres, Harrassowitz à Leipzig) 1905

الذي للجلفاليه فقط . وكان لي نيّة ان اسافر مع المركب الى تلك الجزيرة ومن هناك اركب في مركب هؤلاء الجلفالية الى سورط ومن سورط الى بلادي (١ لكن صدني عارض مع الرجل الذي كان ذاهباً ليحكم في تلك الجزيرة (٢ فطلب مني ان ادينهُ عشرة الاف غرش فشاورت الوزير فقال لي : در بالك لانهُ مديون وعليهِ مائتان الف غرش ديناً . فامتنعت عن الرواح وقصدت ان ارجع الى بلاد اسبانية

٥٣ اخبار الصين والفيليبين

وذكروا لنا ان من مدَّة خمسين سنة لما كان بعض انكاروزين يذهبون من هذه الجزيرة الى بلاد الصين الجواني ليتلمذوا اناسها ويرجعوهم من الوثنيَّة الى ايمان المسيح فالشيطان عدو الخير والاحسان القى في قلب ملك الصين ان يقتل جميع الرهبان الذين يكونون هناك فقتلهم وامر بتحضير مراكب وعساكر ليسافر الى جزيرة فيلبيناس ( Philippines ) فلمَّا نظر سكان الجزيرة هذا العسكر العظيم القاصد محاربتهم اعتراهم الخوف لكونهم قليلين وغير مستعدين فما لهم حيلة ولا ملجأ غير الدخول الى الكنيسة فعبروا للكنيسة وابتدأوا في التضرع والصلاة وحملوا الجسد المقدَّس وخرجوا بالزياح والصلاة الى محاربة الاعداء فبقوَّة الله وعدالتهِ التي لا تتخلى عن القاصدين اليهِ بامانة هاج البحر على تلك المراكب وشتت شملها وحطمها وابادها ومن جميع ذلك الجيش العظيم ما خلص سوى ثلاثة عشر مركباً . فلمَّا سمع ملك الصين بهذا الضرر العظيم الذي اصابهُ حزن حزناً عظيماً ومن حزنهِ هلك عاجلاً واوصى ابنهُ الكبير المتولي الحكم بعدهُ ان يجيء عسكراً آخر بمراكب حصينة ويقصد محاربة تلك الجزيرة . فلمَّا اهتم ابنهُ المذكور وجمع العساكر وجهز المراكب عرض لهم مثلما عرض للاولين وبادوا اجمعين وعرض لهذا الملك ايضاً ما عرض لوالدهِ ومات قهمان لحزنهِ . فخلفهُ اخوهُ الصغير ولما جلس في الحكم نوى ان يجيء عساكر ومراكب فاشارت عليهِ والدتهُ ان لا يضاد تلك الجزيرة لئلا يجري لـهُ ما جرى لابيهِ واخيهِ بل الافضل ان يصالحهم

١) كانت المواصلات التجارية بين سورات وبغداد من طريق العجم متتابعة كما جاء مراراً في الرسائل والرحلات المطبوعة والغير مطبوعة المحفوظة عندنا وياليت رحالتنا عاد الى بلادهِ عن طريق الفيلبين والهند والعجم لكانت سفرتهُ غريبة لم يسبقهُ احد اليها

٢) الفيليبين جزائر لا جزيرة واحدة

ويصاحبهم ويتركهم يدخلون البلاد ويكرزون ولا يعارضهم بوجه من الوجوه. والآن في كل ثلاث سنين يجيء رهبان من اسبانية ويعبرون للصين ويكرزون ويتلمذون بغير مانع . وانا كان لي صديق كان قبطان في تلك الجزيرة مقدار سبع عشرة سنة فلمَّا جاء الى ميخيكو استضاف عندي وحكى لي جميع هذه الامور والمعاجز التي صارت في فيليبناس . وهذا الرجل صادقٌ بقولهِ وايضاً شهادة الرهبان اليسوعية وغيرهم من الرهبان الذين ثبتوا تثبيتاً صادقاً واضحاً تلك المصيبة (١

### ٥٠ جزائر ماريان

ومن مدَّة خمسين سنة اكتشف ايضاً السبنيولية على جزيرة قريبة من فيليبناس وفتحوها وكان سكانها هنود عابدي الاصنام فلمَّا ملكوها نصَّروا وعمدوا اهاليها وسموها على اسم الملكة امرأة الملك فيلبه الرابع (Philippe IV) ولم هذا الملك كارلوس الثاني وكان اسمها الملكة ماريانا ده اووستريا (Marie-Anne d'Autriche) التي هي اخت الامبارادور ليوبولد فجعلوا اسم تلك الجزيرة ايزلا ده ماريانّاس (Mariannes) . ولمَّا كنت انا الحقير في ميخيكو جاء مركب من فيليبناس وجاء معهُ راهبان من رهبان مار عبد الاحد ومعهما عرض حالات الى سيدنا البابا . وهولاء الرهبان جاءوا معي الى اسبانيــة في مركب واحد حينئذٍ اروني العرض حالات حتى اعينهم ولساعدهم عند سيدنا البابا على المصيبة الذي قد صنعهــا قضاة فيليبناس مع مطران هذه البلدة وهي ان المطران المذكور تخاصم مع الرهبان اليسوعيَّة وطلب منهم العشور فما اطاعوهُ ولا ارادوا يؤدوالهُ ذلك (٢ فبسبب هذا احشوا عليهِ (قام) قضاة البلد



---

١) لا ندري كيف خصَّ مؤلفنا هذه الاخبار ونظنهُ خلط بين اخبار الاضطهادات التي حدثت في اليابان والصين والتونكان

٢) يجهل الرحالة ان اليسوعيين وكثيراً غيرهم من الرهبان معفون من اداء العشور لروساء الابرشيات على اننا قلّبنا كتب التاريخ فلم نجد ما ينطبق على قول صاحب الرحلة ولربما خلط بين حادثين جرى الاول بين اليسوعيين في المكسيك وبين يوحنا بالافوكس مطران بوبلا ده لوس انجلوس وذلك قبل رحالتنا باربعين سنة فطلب العشور من اليسوعيين فلم يرضوا وحكم لهم الكرسي الرسولي . امَّا بالافوكس فابتعد عن مدينته وزعم ان ذلك باغراء المرسلين. واخبار هذا الامر طويلة (اطلب تاريخ الرهبانية اليسوعية للمسيو كريتينوجولي المجلد ٤ الصفحة ٦٨ الخ) والثاني ارتان غربرو مطران مانيلا في الفيلبين من معاصري صاحب المقالة وقد ذكر في تاريخه

فارسلوا تحت الليل مسكوه وحطوه في المركب ونفوه الى مكان بعيد ثلاثين فرسخاً . وهذا المطران كان راهباً من رهبان مار عبد الاحد ومات ذلك المطران في النفي كمثل مار يوحنا فم الذهب . فلما وصل هذان الراهبان الى رومية وعرضوا تلك العرض حالات المشتملة على هذه القضية الى سيدنا البابا وسمع البابا تلك القباحة الردية ارسل يعاتب ملك اسبانية على هذا الفعل الذي صنعهُ القضاة في ذلك المطران . فلما علم الملك والديوان هذا الامر ارسل الى فيليبناس وعزل اولئك القضاة من وظائفهم ونفاهم وماتوا منفيين تحت الحرم

## ٥٥ الرجوع الى اوروبة

فنتكلم الان عن رجوعنا . ولما ارادت المراكب ترجع الى اسبانية فانحدرت من بلد ميخيكو (Mejico) الى اسكلة ويراكروس (Vera Cruz) وهي ثمانين فرسخ . فتكلمت مع جنيرال المراكب ان ياخذني الى اسبانية فطلب مني كروه الف غرش مع الاكل والشرب لان قوانين هذه المراكب انهم يكرون الاوضه ذراعين وعرضها ذراع وثلث وعلوها ذراع ونصف . فلما رايتهُ طلب الف غرش صعب عليَّ لكن غصباً عني رضيت . فمن بعد ثمانية ايام اجتمع رؤساء المراكب وعملوا ديواناً ومشورة ان كانوا يقدرون ان يخرجوا من الهند ويأتوا الى اسبانية في هذه الاشهر ورموا القرعة لانهم لا يقدرون ان يسافروا الّا بعد ثلاثة اشهر فجهزوا مركباً صغيراً مع مكاتيب واخبار تلك البلاد وارسلوهُ قبلهم سبقاً الى اسبانية فلما نظرت ذلك حرت في امري بسبب ان تلك الاسكلة حارَّة وماءها عاطل وهواها اتعس . حينئذٍ استهيَّيت وركبتُ في ذلك المركب الصغير الذي ارسلوهُ الى اسبانية قاصداً السفر معهُ الى جزيرة تسمَّى لاوانا (La Havana) لانها اسكلة الى غلايين البيرو والى مراكب ينكي دنيا التي يقال لها الفلوتا (flotte) فحصل صديق لي في اسكلة ويراكروس واشار عليَّ ان اشتري حملين بصل يابس وصندوقين تفَّاح لاجل ارمغانات (١ فاشتريت وعملت بشوره

---

انهُ دعا كهنة مانيلا الى اجتماع فاعتذر اليسوعيون فغضب المطران ولكنه لم تطل مدة غضبه فقبل عذرهم واعلن اسفه لما حدث وعاد الى ما كان عليهِ من مصادقتهم (اطلب Historia delle Philipine p. 220 وكريتينوجولي المجلد ٥ الصفحة ٢٢ الخ)

١) ارمغانات اي هدايا وهي كلمة فارسيَّة الاصل جرى استعمالها في حلب وما بين النهرين

وسافرنا مع قدرة الله وبعد عشرين يوماً وصلنا الى هذه الجزيرة المذكورة لاوانا ونحن فرحون مسرورون وحاكم هذه الجزيرة كان اخا الجنرال الذي اوصلني للبيرو فقدمت لهُ البصل والتفاح ارمغان فتعجب وقال: كيف علمت اننا نعتاز البصل والتفاح في هذه الجزيرة. فانهم اذا زرعوا البصل عندهم في الجزيرة يطلع مثل اذناب الفار واذا تركوهُ حتى يكبر يتخ وييبس. فبقيت في هذه الجزيرة اربعة اشهر ونصف حتى جاءت المراكب من ينكي دنيا وهذه الجزيرة هواها مليح وماؤها طيّب واناسها محبون فلما اردت الخروج من هذه الجزيرة حتى اتوجه الى اسبانية جاءني بشاكيش (١ عوض البصل والتفاح تسعة صناديق سكر مع مرطبانات (٢ المربى وانا كنت استكريت في المركب الذي كان جاء من كراكس (Caracas) بثلاثمائة وخمسين غرشاً وسافرنا. فبمعونة الله وصلنا الى جزيرة القاع (Lucayes) فقام علينا اضطراب في البحر من عظم زيادة الريح ودام احد عشر يوماً وتشتت المراكب على وجه البحر ونحن بقينا في بكاء وعويل مع صلوات وزياحات في المراكب وندورة الى الكنائس والقديسين ومن بعد الاحد عشر يوماً المذكورة سهّل الله وهمد عجاج البحر واجتمعت مراكبنا التي كانت مشتتة لان في الليل يشعلون الفنارات حتى لا يتيهوا ويضيعوا بعضهم عن بعض وايضاً حتى لا يقربوا كثيراً الى بعضهم لئلا يخبط مركب في مركب وينكسروا. حينئذٍ جاءتنا ريح مناسبة فرجعنا الى دربنا متوجهين الى كادس (Cadix). فمن بعد اثني عشر يوماً كشفنا على الارض من فجر النهار وكانت الريح مساعدة جداً حتى في نصف النهار

### ٥٦ من اسبانية الى رومية

دخلنا بالسلامة الى ميناء كادس وكانت مراكب الحرب التي للملك فرنسة راسية خارج الاسكلة وايضاً مراكب الحرب التي للملك اسبانية راسية قبالهم. فلما دخلنا بين هذه المراكب سلمنا عليهم بضرب المدافع فردّت مراكب فرنسة واسبانية علينا السلام

---

١) بشاكيش جمع باشكيش او باشكاش ذكرها المؤلف غير مرة في مقالته واراد بها البخشيش الشهير في بلادنا. وبخشيش كلمة فارسية من فعل بخشيون بمعنى اعطى وغفر

٢) مرطبان كلمة فارسية يراد بها الاناء الذي تحفظ فيه الحلاويات والعقاقير وغيرها

وبقي ضرب المدافع من الجانبين وصار الدخان عليهم مثل الضباب فدخلنا المينـاء ورسينا فثاني يوم اتانا اصحاب من البلد في سنابك وطالعونا الى البر فاخرجت صناديقي بامر رئيس الديوان الذي يسمى برسيدنته من غير ان يفتحوهـا ويفتشوها كالعادة . فمن بعد عشرة ايام رحت الى بلد سيويلية (Séville) لاخلّص الفي غرش من قبطان مركب كان تديّنها مني ليشتري عازة مركبهِ . فلما وصل الى كادس يسّقوا على المركب واخذوه لان كان عليه دين لكنيسة سيويلية ثلاثين الف غرش فرحت انا ادّعيتُ نحكم البرسيدنته بالحق وقال: قبل كل شي. يستوفي هذين الالفين غرش لانهُ لولا هذا المبلغ ما جاءكم المركب . فاعطوني اياهـا ورحت الى كادس واستكريت مع مركب هولانديزي حتى اتوجه الى رومية وكان معي خادمان من اولاد الارمن وكنت احضرت معي من الهند اربع درّات وهي الطيور التي تسمّى في لسان الفرنجي پاپا كاي (ببغاء) (Perroquet) يتكلمون مثل الانسان وجبت ايضاً قنديل فضـة يساوي الف وار بعمائة وخمسين غرشاً وصنعتهُ غريبة فقدمتهُ الى سيدنا البابا والى كنيسـة المجمع فلماً راهُ الكردينالية فرحوا فرحاً عظيماً بلطافة صياغتهِ . وفي ذلك الحين انعم عليّ سيدنا البابا اينوسنسيوس الحادي عشر صاحب الذكر الصالح بوظائف لم اكن لائقاً لها . والحمد لله الى الابد امين (١

# الطلاق عند المسيحيين

نظر لاهوتي للاب انطون صالحاني اليسوعي (تتمة)

تحديدات وقوانين المجامع

بعد ان تحققنا تعليم آباء الكنيسـة وعلمائهـا عن منع الطلاق لا عجب ان نرى المجامع المسكونيّة والمكانية تحدّد وتقرّر الحقيقة ذاتها وتلزم المسيحيين باتباعها

١) هنا تنتهي رحلة الخوري الياس بن القسيس حنا الموصلي من عيلة بيت عموده (او ربما عمون) وهي الصفحة المائة من كتابهِ ويليها ١١٢ صفحة وصف فيها المؤلف تاريخ اميركة القديم وفتحها نقلهُ عن الكتب الاسبانية وغيرها من الكتب فجمع فيهـا بين الفوائد التاريخيّة والاخبار المنقولة وختمها بمروض قدمهُ الاب فرنسيسكو روميرو الاغسطيني سنة ١٦٩٣ ومن هذا التاريخ يتضح انهُ الّف هذا القسم بعد عودتهِ بسنين وربما عدنا الى هذه الفصول فاستخلصنا منها شذرات تلذ القراء

ولا حاجة الى ايراد ما اوضحهُ بهذا الخصوص المجمع التريدنتيني (١٥٤٥–١٥٦٣) وما ورد في صورة الايمان التي وضعها البابا اوجانيوس الرابع وألزم بها الارمن العائدين الى الكنيسة الكاثوليكية . فان هذه صورة الايمان تعتبر تابعة لتحديدات مجمع فلورنسة المسكوني (١٤٣٤) . وغنيٌّ عن البيان ما قرَّرهُ المجمع المسكوني الملتئم سنة ١٢٧٤ في مدينة ليون من اعمال فرنسة بحضور ملك الروم يوحنا مانويل باليولوغ ومائة من اساقفة الروم . فان هذه المجامع مشهورة ومعروفة من الكبير والصغير

فالاجدر بنا ان نذكر ما حدَّدهُ وقرَّرهُ عن هذه المسألة الخطيرة اقدم المجامع لنبيّن ما كانت تقبلهُ بهذا الشان الكنيسة في القرون الاولى من النصرانيَّة

فمجمع إلبيرة المنعقد سنة ٣٠٣ في إلبيرة من اعمال اسبانية (١ قرَّر في قانونه التاسع : «اذا افترقت المرأة المسيحية عن رجلها المسيحي الزاني وتزوجت آخر يجب منعها عن ذلك . فان لم تمتنع فلتحرم قبول الاسرار ما لم يكن مات رجلها الذي افترقت عنهُ او كانت مريضة . » (٢

ومجمع أرل الملتئم سنة ٣١٤ في أرل من اعمال غالية قال في قانونه العاشر : «ان الذين وجدوا نساءهم في الزنى وهم شبان مسيحيون محرَّم عليهم الزواج رضيت الجماعة ان يحرِّضوا بقدر ما يمكن على ان لا يتزوجوا ما دام نساؤهم في الحياة وان كنَّ زانيات» (٣

ومجمع ميليف الملتئم سنة ٤١٦ في ميليف من اعمال افريقية قرَّر في القانون ١٧ ما يلي : «بحسب التعليم الانجيلي والرسولي رضيت الجماعة ان الرجل الذي طلقتهُ امرأتهُ والمرأة التي طلَّقها رجلها لا يجوز لهما ان يتزوجا بآخر بل يجب ان يبقيا هكذا فان لم يخضعا فليجبرا بالتأديبات . وينبغي ان يلتمس شريعة ملوكية بهذا الخصوص» (٤

وهذا القانون ذاتهُ قرَّرهُ فيما بعد مجمع قرطجنة الملتئم سنة ٤١٨ في قرطجنة من

١) التأم هذا المجمع في اوائل الاضطهاد الفظيع الذي اثاره ديوقلطيانوس على الكنيسة
٢) مجموعة مانسي للمجامع المجلد ٢ الصفحة ٧
٣) مجموعة مانسي المجلد ٢ الصفحة ٤٧٢
٤) مجموعة مانسي للمجامع المجلد ٤ الصفحة ٣٣١

اعمال افريقية وكان عدد الآباء المجتمعين فيه ٢١٧ فقالوا في القانون ١٠٥ « قد رضيت الجماعة وفقاً للتعليم الانجيلي والرسولي ان الرجل الذي طلّق امرأتهُ والمرأة التي افترقت من رجلها لا يجوز لاحدهما ان يقترن بقرين آخر بل يجب عليهما ان يلبثا مقيمين على هذه الحالة عينها او يصالحا بعضهما . واذا هما اهملا ذلك فليلتزما ان يكونا في حالة التائبين وفي هذا الباب نفسهِ ينبغي لنا ان نلتمس تقرير شريعة ملوكيّة » (١

وقال المجمع السادس المسكوني المنعقد سنة ٦٨١ في القسطنطينيّة في القانون ٨٧ « المرأة التي تترك رجلها هي فاسقة ان مضت الى رجل آخر غيره كما يقول باسيليوس الالهي الطاهر ... وامَّا الذي يترك المرأة التي قد اقترن بها اقتراناً ناموسياً ويأخذ غيرها فيسقط تحت دينونة الفسق كما امر الرب ... » (٢

والقانون ٤٨ من القوانين الرسولية (٣ يقول بنوع عام وبدون استثناء البتة : « ايّما عامي طلّق امرأتهُ واخذ أخرى او مطلّقة من غيره فليقطع » (٤

ويحسن بنا ان نذكر ما جمعهُ فوتيوس عن مسألة الطلاق في كتابهِ مجموعة القوانين الباب الثالث عشر الفصل الرابع (٥ فانهُ اثبت في مجموعتهِ القانون ١٤ من مجمع

---

١) اخذنا ترجمة هذا القانون عن كتاب للارثوذكس وهو كتاب قوانين الرسل والمجامع المسكونية والمكانية المطبوع سنة ١٨٩٤ في مطبعة المحروسة بمصر. راجع ايضاً مجموعة القوانين لفوتيوس في مجموعة آباء اليونان المجلد ١٠٤ الصفحة ٩٠٦

٢) مجموعة مانسي للمجامع المجلد ١١ الصفحة ٩٧٩ وكتاب مجموعة القوانين لفوتيوس في مجموعة آباء اليونان لمين المجلد ١٠٤ الصفحة ٩٠٦ وكتاب قوانين الرسل الخ طبعة المحروسة الصفحة ٩١

٣) لا يُعرف بالتحقيق جامع هذه القوانين المنسوبة للرسل ولا متى جُمعت . قال العلّامة فونك انها جمعت في القرن الخامس . ومهما كان الحكم في ذلك فلا ينكر انها دليل شاهد على ما كان يسلّم بهِ المسيحيون اقلّهُ في القرن الخامس للمسيح . هذا ولا بدّ من التنبيه على انهُ يوجد في النسخ اختلاف في عدد وترتيب هذه القوانين . فالنسخة اليونانية تثبت ٨٥ قانوناً وديونيسيوس الصغير اثبت ٥٠ قانوناً . ثم ان القانون ٤٨ هو القانون ٤٥ في نسخة خطيّة في مكتبتنا الشرقية

٤) مجموعة مانسي للمجامع المجلد ١ الصفحة ٣٩ و٥٦ وكتاب قوانين الرسل الخ طبعة المحروسة بمصر صفحة ٨

٥) مجموعة آباء اليونان لمين المجلد ١٠٤ الصفحة ٩٠٢–٩١١

غنغراس المنعقـد بعد الجمع الاوّل النيقاوي في غنغراس مطرنَّة البمفلاغونية (١ والقانون ١٠٢ (وهو في بعض النسخ القانون ١٠٥) من مجمع قرطجنة وقد مرّ لنا ذكرهُ والقانون ٨٧ من الجمع السادس المسكوني (٢ وقد اثبتنا جزءاً منهُ. والقوانين ٩ و٣٥ و٤٨ و٧٧ للقديس باسيليوس الكبير. فاحببنا ان نقتبس بعض فقرات ممّا اوردهُ فوتيوس عن القديس باسيليوس:

« ان ما نطق بهِ الرب عن تحريم افتراق المتزوجين الّا لعلّة الزنى يصدق باعتبار ارتباط المعنى على الرجال والنساء معاً . . . وعليهِ فالمرأة التي فارقت رجلها هي زانية اذا اقترنت بآخر . . . والرجل الذي افترق عن امرأتـهِ يكون هو ايضاً زانياً اذا اقترن باخرى لانهُ يجعلها ترتكب الزنى . والتي تسكن معهُ هي ايضاً زانية لانها قبلت رجلاً غير رجلها » (باسيليوس القانون ٩)

« ان المرأة التي تركها رجلهـا تلتزم على رأيي ان تبقى غير متزوجة لان الرب قال من ترك امرأتهُ الّا لعلّة زنى فقد جعلها زانية . فبما انهُ سماها زانية حرَّم عليها ان تقترن بآخر لانه كيف يمكن ان يكون الرجل مذنباً لكونه سبب الزنى ولا تكون مذنبـة المرأة التي قال عنها الرب انها زانية لاقترانها برجل آخر » (باسيليوس القانون ٤٨)

« من يترك المرأة التي اقترن بها بزواج شرعي وياخذ أخرى يقضي عليهِ الرب بحكم الزنى . . . » (باسيليوس القانون ٧٧)

وبعد ان اورد فوتيوس هذه القوانين الكنائسيَّة ألحقها بما قرَّرهُ وسنَّهُ القانون المدني في هذه المسألة مع ذكر الحوادث التي تأذن فيها السنن المدنيَّة بالطلاق دون ان يحكم على هذه السنن اذا كانت جائزة ام لا . لانَّ غايتهُ انما كانت جمع ما سُنَّ من القوانين في هذه المـادَّة . ومعلوم انَّ فوتيوس في ما يخصّ الزواج الذي هو سرّ من اسرار الكنيسة رسمهُ السيّد المسيح يعتمد على القوانين الكنائسيَّة لا على المدنيَّة . لكن تتمَّةً للفائدة ولئلا يفوتهُ تدوين شيء ألحق السنن المدنيَّة بالكنائسيَّة ليطَّلع عليهـا الراغبون . وقد اتَّبع في هذا الموضوع الطريقة التي نهجها في غيرهِ من المواضيع اي انهُ يورد اولًا التحديدات والقوانين الكنائسيَّة اخذاً عن المجامع والآباء القديسين ثم يُلحق

١) راجع كتاب قوانين الرسل الخ طبعة المحروسة الصفحة ١١٧

٢) راجع كتاب قوانين الرسل الخ طبعة المحروسة الصفحة ٩١

بها السنن المدنية . وهو ترتيب حسن في تأليف مفيد يشهد لصاحبهِ بسعة الاطلاع على ما كتبهُ الاولون

لكن الذين اتوا بعدهُ وارادوا جمع القوانين في مختصر تتداولهُ ايدي الكهنة لم يصيبوا المرمى . فانهم لدى وقوفهم عمَّا جمعهُ فوتيوس عن الطلاق خاصةً تخيَّلوا ان كل ما اوردهُ في هذا الفصل هو من القوانين الكنائسية فجمعوا وخلطوا القوانين الكنائسية بالمدنيَّة دون تمييز لتوهمهم ان هذه القوانين كلها كنائسية فجاءت مجموعتهم مختلَّة . ولا يخفى ان بعض هذه القوانين مناقض كل المناقضة لاقوال الانجيل الطاهر فكيف يمكن ان تكون كنائسية مأخوذةً عن المجامع والآباء

هذا ما تحققناهُ في الكتاب المسمَّى الطب الروحاني الذي توجد منهُ نسخ في مواضع شتَّى من الشرق وفي مكاتب اوربَّة . ولدينا نسخة منهُ خطيَّة في مكتبتنا الشرقية . فان القوانين المدنيَّة أُدرجت فيهِ ممزوجة بالكنائسيَّة دون تمييز . الامر الذي يلقي الشك والارتياب في عقول السذَّج ويحمل القارئ على اعتبار الحرَم جائزًا . فينتج عن ذلك ضرر جسيم

برهان العقل



واذا استشرنا العقل نراه يرسل نورًا ساطعًا على هذه الحقيقة ويؤيد ما اثبتناه من الكتاب المقدس ومن تعليم الآباء والمجامع . فيبيّن لنا ان تحريم الطلاق في الزواج هو صيانة لهُ وللآداب ومحرك على الفضيلة وان السماح بهِ يزعزع ركنهُ ويدفع الى الآثام والخيانة

فلو افترضنا الطلاق جائزًا لكان الانسان الذي يهيج فيهِ باعث حبّ او بغض وما شاكل يهجم على الوسائط التي تخوّلهُ حق الطلاق . فهذا الرجل المتزوج احبَّ امرأةً وشغفت هي ايضًا بحبّهِ . فيتمنَّى لو يتخذها امرأةً لهُ وهي لا تتمنَّى غير ذلك . ولكن من اين لهما بلوغ هذه التمنيات وهما مقيَّدان بزواج شرعي . فاذا افترضنا الزنى علَّة لفسخ العهد أتراهما يحجمان عن هذه الطريقة التي تبلّغهما مُنيتهما . فما لهما الَّا ان يُرخيا العنان لشهواتهما لينالا مأربهما . ولكن لو تحقَّق لديهما انهما مهما سعيا يذهب سعيهما ادراج الرياح لعلمهما بانَّ عهد الزواج لا يُفسخ أثنيا في اكثر الاوقات من عنانهما واخمدا لظى الحبّ واجتهدا في حفظ العفة . فيكون منع الطلاق صونًا للفضيلة وللزواج معًا

وهكذا قل عن البغض . فان الذي تشتعل فيه نيرانـهُ يزيدها وقودًا واضطراماً اذا علم انهُ يمكنهُ التخلص من امرأته . لكن اذا تأكد ان الزواج لا يُفكّ الّا بالموت صبَّر نفسهُ في الغالب على الأذى واخمد نيران الغضب ليمكنهُ ان يعيش بالسلام مع امرأته . فيكون السماح بالطلاق مرخيًا لوثاقهِ ومهيّجًا للبغض والعداوة امّا منعهُ فيكون موثقًا لرباطهِ وباعثًا على الوداعة والمحبة

وهكذا قل عن سائر الشهوات من حسد وغيرة وما شاكل

ان المسيو جول سيمون العالم الفرنسي الشهير الذي لم يكن مرتبطًا بشرائع الديانة يقول في كتابهِ المسمّى « الحريّة المدنية » (ف ١ ع ٤) بمعرض مقاومته لسنّة الطلاق « انكم تسنّون سنّـة تجعل الحبّ الزناني ممكنًا بل شرعيًا وذلك على امل طلاق قريب . ألا ترون ان هذا الرجل المتزوج يصعب عليه جدًا ان يطفئ عشقًا متولدًا في قلبـهِ اذا كان يأمل طلاقًا يسوّل لهُ العشق وانكم بحجة منح الحريّة للزواج تجعلون مواجيه اشدّ ارتباكًا وصعوبة » (١

هذا هو لعمرك نطق العقل وكلام الحق



اعتراض اول

اذا كان فسخ عهد الزواج ممنوعًا قطعًا كما برهنًا وكانت هذه الحقيقة مقررة ثابتة منذ اوائل النصرانيّة فبايّ طريقة درجت اذًا العادة ان يجري في حادث الزنى فسخ عهد الزواج عند غير الكاثوليكيين

فعلى هذا نجيب انهُ جرى في مسألة الطلاق لعلة الزنى ما يجري في غيرها من المسائل خاصةً اذا كانت مما يوافق او يعاكس اهواء القلب البشري فان الاهواء كضباب كثيف يخيّم على نور الايمان والعقل . وكثيرًا ما تدفع الشهوات والغايات الدنيوية الى ما تنهى عنهُ الشريعة

والذي سهّل الغش في حادث الزنى وموّه الحقيقة على العقول هو تخيّل وتوهم ما يشبه البرهان في كلام متى الانجيلي خصوصًا اذا لوحظ واعتبر بمعزل عن آيات سائر الانجيليين وعن تفسير وتعليم الكنيسة . واغترّ البعض ايضًا بتعبير مبهم ورد في كتابات بعض الآباء

١) نقلنا قول جول سيمون عن البشير العدد ١٣١٤

لم يفهموه حق الفهم او لم يعارضوه بما ورد في مواضع اخرى من كتاباتهم ليطلعوا على معناه الصحيح

وزد على ذلك ان عوائد الشعوب لا تُلغى ولا تبطل بغتةً بل مع تمادي الزمان وكرّ السنين . فان الشرائع المدنية الوثنية كانت تجيز الطلاق في كثير من الظروف . فلمّا ان تنصر ملوك الروم لم يمكنهم ان يبطلوا من هذه الشرائع ما كان مخالفاً للانجيل الا تدريجاً وشيئاً فشيئاً . لاسيا ما كان منها متعلقاً بالزواج . فالغى قسطنطين الكبير اكثر دعاوي الطلاق وحفظ منها ثلاثاً خوفاً من شر اعظم . وذلك لوجود كثير من الوثنيين في ممالكه . ولمّا كان يؤمل ممن اتى بعده من الملوك ان يقتفوا آثاره ويلغوا ما ابقاه من حوادث الطلاق توسعوا بالعكس فيها . كما فعل يوستنيان (٥٢٧ — ٥٦٥) ولاون السادس الفيلسوف (٨٨٦ — ٩١٢) ونيقيفور الثالث الملقب بوتنيات (١٠٧٨ — ١٠٨١) . اتباعاً لهواهم ولاهواء ذويهم او انقياداً لآراء الفلاسفة الوثنيين او رغبةً ايضاً في مقاومة سلطة الكنيسة والتداخل في شؤونها الخاصة . فانقاد البعض للشرائع المدنية اكثر من شريعة الانجيل والشعب ميّال لاتباع من هو اعلى منه قدراً ورتبة . ومهّد ايضاً السبيل لقبول هذه الشرائع المدنية تساهل بعض الاساقفة المتقربين من البلاط الملوكي فانهم فضّلوا الطاعة للبشر ومرضاتهم على الطاعة للرب ومرضاته تعالى . وقد لام قبلاً مثل هذا العمل اوريجنس كما رأينا فقال عن بعض الاساقفة انهم خالفوا شريعة الانجيل وانقادوا لشرائع وثنية خوفاً من شرور اعظم . ولكن اي شر اعظم من مخالفة شريعة الله . فلو كان البابا اقليمنس السابع انقاد لارضاء خاطر هنريكوس الثامن ملك انكلترة لما كان ارضى رب السماوات . قان هنريكوس الحّ على الحبر الاعظم طالباً فسخ زواجه مع كاترين من اراغونة زوجته الشرعية التي لم يكن يرضاها . فاجابه البابا: لا يمكنني ذلك لانهُ مخالف لشريعة الله . وفضل البابا لن يحافظ على هذه الشريعة ولو انفصل الملك عن الكنيسة وفصل معهُ المملكة

هذه هي اهم الاسباب التي منها تولدت بعض العوائد في الطلاق . وهي عادة جارية وليست قانوناً مرعياً . فهذه الكنيسة الانكليكانية وان كان الطلاق جارياً عندها الّا انها لا تعترف به كتعليم قانوني . قال مانيل وهو من مشاهير كتبة البروتستانت: (في

القانون ١٠٧ ) : « ان الكنيسة الانكليكانية لم تصادق قط بسلطتها على طلاق آخر سوى ترك المؤاكلة والمضجع مع تحريمها الصريح لزواج آخر » نقل هذه الشهادة كنابنبور في شرحه انجيل متى ( المجلد ١ صفحة ٢٢٩ ) . . .

ويؤيد قول مانسل ما جاء في جريدة التيمس في نشرتها الاسبوعية بتاريخ ٢٤ تشرين الثاني من السنة الحاضرة . وهذا تعريبهُ بالحرف :

في الاجتماع الاول الذي عقدهُ في ٢١ تشرين الثاني اعضاء جمعيَّة اتحاد الكنيسة الانكليكانية « انكلاند تشورتش اونيون » اقترح القانوني والاس الاقتراح الآتي : « بما ان الكنيسة الانكليكانيَّة قد علَّمت على الدوام ان الموت وحدهُ هو الذي يفك عقد الزواج بين المسيحيين وبما ان هذا التعليم مصرَّح بهِ كل الصراحة في رتبة الزواج المستعملة في الكنيسة المذكورة . فالاعضاء المجتمعون يحتجون احتجاجاً قويًا على استعمال الكنائس لاجراء رتبة الزواج للاشخاص الذين حصَّلوا حكماً بالطلاق من المحاكم المدنيَّة في حين ان احد الزوجين المطلق على الوجه المشروح باقٍ في قيد الحياة . ويحتجون ايضاً على الاجازة الممنوحة من وكيل الاسقف الرسمي لاتمام الرتبة »

ثم قال المقترح « انهُ لا يفرق بين الابرياء والمذنبين وانهُ من الجهة المتعلقة بهِ يرى من واجباتهِ رفض الترخيص بالزواج في كنيستهِ لشخص مطلَّق وانهُ يقفل الابواب بالمقاليد في وجه كل من هو على هذه الشاكلة . وان رجال الاكليروس يقومون بواجب العدل اذا تصرَّفوا على الصورة المحكي عنها وينبغي ان يلاقوا عضداً من الاساقفة . وقال ارشيدياكن كنيسة تشستر انهُ هو ايضاً يغلق كنيسته بالاقفال دون كل من يريد استعمال كنيسته لمثل هذه الغاية ولا يعبأ بما ينجم عن ذلك كائناً ما كان . فقُبل الاقتراح باجماع الآراء » انتهى كلام التيمس

ومهما تكن العوائد الآن في الكنائس الغير الكاثوليكيَّة فانا نعرف حقَّ المعرفة انهُ لم يكن جارياً فيها الطلاق في العصور الاولى . يشهد على ذلك ما عملهُ جورجيس ابن بختيشوع (✝٧٧٠) وما اجاب به ابا جعفر المنصور . وقد ذكر هذا الخبر جمال الدين القفطي في تاريخ الحكماء (صفحة ١٥٩) وابن ابي أصيبعة في طبقات الاطبَّاء (الجزء الاوَّل الصفحة ١٢٤ و١٢٥) وابن العبري ( ✝ ١٢٨٦ ) في تاريخهِ مختصر الدول ( الصفحة ٢١٤ ) واليك الخبر نقلًا عن القفطي الذي اخذ عنهُ ابن العبري : « وقال

المنصور لجورجيس يوماً : من يخدمك ههنا . قال : تلامذتي . فقال المنصور : سمعت انهُ ليس لك امرأة . فقال : لي زوجة كبيرة ضعيفة لا تقدر على النهوض من موضعها . وانصرف من الحضرة ومضى الى البيعة . فامر المنصور خادمهُ سالمًا ان يختار من الجواري الروميات الحسان ثلاثاً ويحملهن الى جورجيس مع ثلثة آلاف دينار . ففعل ذلك . فلمَّا انصرف جورجيس الى منزلهِ عرَّفهُ عيسى بن شهلافا تلميذهُ بما جرى وأراه الجواري . فانكر امرهنَّ وقال لعيسى : يا تلميذ الشيطان لمَ ادخلت هؤلاء الى منزلي . اردتَ ان تنجسني . امضِ وردهنَّ الى اصحابهنَّ . ثم ركب جورجيس معهُ عيسى مع الجواري ومضى الى دار الخليفة وردهنَّ على الخادم . فلمَّا اتصل الخبر بالمنصور احضرهُ وقال : لمَ رددت الجواري . قال : لا يجوز ان يكون مثل هؤلاء في منزلي لأنَّا معشر النصارى لا نتزوج أكثر من امرأة واحدة وما دامت المرأة حيَّة لا نأخذ غيرها . فحسن موقع هذا من المنصور وامر في الوقت ان يعالج جورجيس حظاياه وحرمه وزاد موضعهُ عندهُ . وهذا ثمرة العفة »

ولا يخفى ان جورجيس بن بختيشوع وهو من افضل اطباء زمانهِ كان من النساطرة اما ابو الفرج بن العبري الذي نقل قصة جورجيس مع المنصور واستحسن عملهُ وجوابهُ فكان من اليعقوبية ومن اعظم مطارنتها ومن اشهر كتبتها . وهذا برهان قوي على ان النساطرة واليعاقبة لم يكونوا يقولون بالطلاق في القرن الثامن والقرن الثالث عشر للمسيح

اعتراض ثانٍ

وهنا محلّ لاعتراضٍ آخر. يقول البعض : ان هذا الشاب زيد مثلًا هو في ريعان الشباب وقد تزوج بفتاة صونًا لآدابهِ . لكن الفتاة لم تكد تقترن بهِ حتى خانتهُ وهجرتهُ ملازمةً شابًا آخر لمحبة زنانية . فلا ترعوي عن غيّها لا لنصيحة ولا لتهديد . فهل من العدل ان يحتمل زيد الخيانة والذل ويعيش متبتّلًا وليس ميلهُ التبتّل ولا في قدرتهِ حفظ العفة . أمن الصواب ان تدفعهُ الشريعة الى ارتكاب الفحشاء . أوليس الاوفق ان يؤذن لهُ بتطليق امرأتهِ الخائنة ليمكنهُ ان يتزوج باخرى . ويأتون بمثل آخر قائلين : انَّ فتاةً اديبة ذات خصال حميدة اقترنت بشابٍ لتعيش معهُ بالهناء . وكان هذا الشاب يريها ان لها في قلبهِ مودّة . ولم يكن راغبًا الّا في ثروتها . فما كاد يعقد الزواج ويقبض

المال الاخفّ لمفارقة الاهل والبيت والوطن · فابتعد وانقطعت اخباره عن امرأته · فبقيت هذه النكدة الحظ تتقلب على جمر الغضا تُبدي الاسف وتسحّ الدموع · فندمت على زواجها ولات ساعة ندم · فهل من العدل ان تعيش هذه المرأة متبتلةً حياتها · متزوجة كلا متزوجة · لا ذنب لها سوى ان الشاب غرّها طمعاً بمالها · هذا هو الاعتراض بصراحتهِ وقوّتهِ

فقبل ان نجيب على الاعتراض ليسمح لنا ان نبدي ملاحظاتنا ونعرض شكوانا · لانهُ في مسائل الزواج يجب الفحص والتدقيق والتأني والتروي لانّ الارتباط يدوم مع الحياة · يا ترى هل يُفسخ البيع الشرعي بعد عقدهِ اذا لم يُجنَ منهُ ما كان يؤَمّل من الارباح · وكم من الناس يُعملون الفكر ويتخذون احسن التدابير لئلا يُغبنوا فيه · ولكن ما اقلّ الذين يفكّرون في ان لا يُغشوا في الزواج وما اكثر عدد الذين يهجمون عليه راغبين في المال او في الجمال غير مبالين بالآداب مدفوعين بالهوى نابذين كل تروٍّ وفطنة لا يذعنون لنصح العقل ولا لمشورة العقلاء · فلا يكادون يبرمون عقد الزواج الّا وتنكشف الخبآت وتتولّد الاضغان وتتقد النيران وتتحقق العداوة · فعلى مَن اللوم اذا كانوا لا يلاقون في طريقهم الا الاشواك والعقبات والمتاعب · ايريدون ان الشريعة تنثني لأهوائهم وتلتوي مع اعوجاجهم وتتبدّل مع تقلباتهم وتبطل لعدم فطنتهم · عليهم اذًا ان يتحملوا نتائج سوء تدبيرهم بل قل عدم تدبيرهم · فالذنب ذنبهم لا ذنب الشريعة · وليست الشريعة العادلة هي التي ظلمتهم بل هُم هُم ظلموا ذواتهم · فليذوقوا ثمرة هواهم المرّة

الّا اننا نعترف بوجود من يعمل الفكر ويتروى ويحسن التدبير ومع ذلك لا ينجو من الغش والظلم · فالى مثل هؤُلاء نوجّه جوابنا فنقول : حقًّا ان مصيبة زيد لعظيمة وعظيمة ايضًا هي مصيبة الفتاة · الّا انها خصوصيّة · ومعلوم انهُ ينبغي تلافي الضرر العمومي قبل الخصوصي اذا تعذّر تلافيهما معًا · وهذا ليس خاصًّا بالسنن الدينية والكنائسيّة بل هو عمومي · فاذا صدرت احكام او أنشئت مشروعات لخير العموم قد يتفق ان يلحق الضرر بعض الافراد فيحتملونهُ صابرين اذعانًا للمنفعة العمومية · فلو أذن للمسيحي بالطلاق لعلة الزنى لكان الضرر عموميًّا عند المسيحيين · فكم منهم لو تحققوا ان الزنى يسهّل الطريق للطلاق لما أحجموا عنهُ ليتسنّى لهم التملّص من زوج يكرهونهُ

والاقتران بشخص يعشقونهُ . ومتى انفتح الباب اتسع الخرق وكثر الداخلون فيهِ فعمَّ الضرر على الآداب المسيحيـة والزواج معاً . ومن علة الزنى يخطون خطوةً أُخرى نحو الطلاق بسبب شراسة الطبع وبسبب فقد العقـل ولعلَّة مرض معدٍ ولعلة العقر وهلم جرًّا . فلدفع كل هذه الاخطار والمضارّ سنَّ المخلص الالهي بحكمتهِ السامية ان عقـد الزواج لا ينفك الَّا بالموت ( اطلب النصوص السابقة )

ولا احد يجهل كم اقلقت مسألة الطلاق رئيس حكومة الولايات المتحدة فانَّ جلَّ همهِ اتخاذ الوسائط الفعَّالة لتخفيف وطأته وتلافي مضارّهِ في بلاده خاصة فيما يتعلق بتقليل النسل . لكن مهما سعى البشر لن يجدوا واسطة فعَّالة غير التي سنَّها الله تعالى في الانجيلِ الطاهر . وقد طالعنا في هذه الايام المقالات الطوال في جرائد فرنسية مشهورة بعضها للديانة والكنيسة وصفت فيها الحالة السيئة التي صار اليهـا الزواج في فرنسة بسبب تكاثر حوادث الطلاق . فعسى ان يكون لها تأثير حسن في العقول

فما العمل اذًا لو وقع حادث لا تمكن معهُ المساكنة ولا يسمح فيهِ الطلاق فنجيب انـهُ لا يجوز اذ ذاك الَّا المفارقة مع حفظ العفة حسب تعليم الرسول « وان فارقتهُ فلتبقَ غير متزوجة او فلتصالح رجلها » ( ١ كورنتس ٧ : ١١ ) فكما انهُ واجب على المتزوجين حفظ الامانة والطهارة اذا اتفق ان يفترق الرجـل عن المرأة بسبب سفر او مرض معدٍ او عارض جنون او الحكم على احدهما بالحبس المؤبد والاشغال الشاقة كذلك الرجل الذي خانتهُ امرأتهُ يلزمهُ ان يصبر على الاذى ويتجلد حافظًا العفة ولا يجوز لهُ مطلقًا ان يقدم على زواج آخر ما دامت امرأتهُ في الحياة . وهكذا القول عن المرأة التي خانها رجلها . انبئني بحياتك هل يطعن احد بالشرائع المدنيـة اذا منعت الجندي عن الزواج او ابعدتهُ عن امرأتهِ وارسلتـهُ الى الحرب او اذا زُجت في السجن لسنوات مديدة رجلًا اثيمًا وفرقتهُ عن امرأتهِ . فلمَ يُدخَر الطعن لشريعة الانجيـل التي سنَّها الله تعالى لخير الزواج والشعوب اذا تسبَّب عنها لبعض الافراد بعض الضرر . وعليهِ فالاعتراض منافٍ للعقل والدين معًا ومن ثمَّ مردود

الختام

هو المسيح ابن الله يصرّح في الاناجيل الطاهرة بان الزواج لا يُنقض عقده الوثيق الذي سنهُ الله مذ خلق الانسان . وهذا بولس الرسول يوضح تعليم الرب ويبين

للمسيحيين ان الزواج ثابت لا يُحلّ الّا بالموت · وهولاء آباء الكنيسة وعلماؤها المنبثون في اصقاع مختلفة يبرهنون مستندين الى كلام المسيح والرسول ان الزواج لا ينفك رباطه ما دام الزوجان في قيد الحياة وان ارتكب احدهما خطيئة الزنى

فمن احق بان يصدَّق ويتَّبع ألمسيح والرسول وآباء الكنيسة ام هوى القلب البشري · فليحكم المنصفون · وهذا العقل ينيرنا بضيائهِ الساطع ويعلمنا ان الزواج ينبغي ان يكون وثيق العهد مراعاة لحرمتهِ وشرفهِ وصيانةً لهُ من كل الطوارئ وان القول بانه قابل الانحلال لعلّة الزنى كافٍ ليعرضه لهجمات عنيفة وليضعضع ركنهُ

ولهذا وضعه الله منذ البدء غير قابل الفسخ · ولمّا ارخى موسى شيئاً من عهده الوثيق لقساوة القلوب اعادهُ السيد المسيح الى وضعهِ الاول وكمالهِ وشدَّ وثاقه ورفعهُ الى درجة سامية بان جعلهُ سرّاً مقدساً من اسرار الكنيسة

ففي هذا الكمال وفي هذه القداسة يجب ان يُصان كما تصونه الكنيسة الكاثوليكية حفظاً للآداب وضماناً لراحة العيال وتاييداً لعمران الشعوب وعملاً باوامر الله



# بائعة التفّاح

## او النخوة في اليابان

رواية منقولة عن البشير نظمها على هذا النمط الاديب حبيب جرجس اسطفان

احد تلامذة مدرسة الموارنة في رومة

لا تقولوا يا قومُ مَن قلَّ ذلّا عزَّةُ النفس قد تؤاخي الْمُقِلّا

انظروها شمطاء عجفاء ذاقت من صروفِ الزمانِ خمرًا وخلّا
أبصرت في شبابها الغضِّ عزّا ورأت في مشيبها النكدِ ذلّا
أضنكتها سنونَ ستّونَ أو ما فوقُ حتى أمالها الضعفُ ظلّا
وحنتها الأيامُ فهيَ كما العُرْ جونِ أو كالهلالِ حينَ استهلّا
غيرَ أنَّ الشبابَ أبقى لها منـــهُ فؤادًا ترى بهِ الحزنَ سهلا

الاحداث . وكان مدار كلامنا على النورين الطبيعي والصناعي وتأثيرهما في ابصار تلامذة المدارس . واليوم نبحث عن القاعد والكراسي والناضد ( الطاولات ) وعن كيفية اصطناعها بالنسبة الى عيون الدارسين

واعلم انّ للمقاعد عملًا كبيرًا في حفظ البصر ومن ثمّ لا بدّ من اتقانها وفقًا لغايتها اعني لجلوس الاحداث عليها في درسهم وكتابتهم . وذلك ليس فقط في نفس المدارس ولكن ايضًا في البيوت حيث يخصّ الولد قسمًا من اطراف نهاره في الدرس

ويُشترط في تركيب هذه الكراسي المدرسيّة شرطان: الاوّل ان يلقى الجسم عليه راحتهُ وينتصب انتصابًا قانونيًا والثاني ان يكون موقع عين الدارس الى صُحفه معتدلًا موافقًا . ودونك ما كتبهُ في هذا الشأن احد اساتذة باريس الدكتور لبريش في مجلّة صحّة العيون الشهريّة (١ وقولهُ جدير بالاعتبار : « قد لحظتُ في اثناء فحصي لمدارس الاحداث انّ الطلبة في جلوسهم يقرّبون رأسهم الى كتبهم ودفاترهم تقريبًا زائدًا ينتج منهُ ضرر للعيون اذ تتّجه الاشعّة النظريّة بافراط الى مركز واحد وبذلك تتوتّر اعصاب العين التي موقعها من جهة قصبة الانف وكذلك العروق التي على سطح العين فانّها تزيد توتّرًا بينا هي تسعى في التوفيق بين الحدقة والمنظور فيحصل من ذلك الحسَر وقصر النظر . ولو روعيت شروط اصطناع المقاعد لسلم البصر من هذا الداء

« ولهذا الافراط في تقريب الرأس الى الكتاب ضرر آخر وهو انحناء يحصل في العمود الفقاري فترى الرأس ثمّ الصدر يميلان الى احد الجانبين وقت الدرس الى أن تتأثّر البنية من هذا الانحناء وتصاب السلسلة الفقاريّة بالتواء وعوج

« والبعض من المعلمين او الوالدين يظنّون انّ هذه العادة السيئة تأتي للاحداث من تهامل في التربية او من قلّة اكتراث في قوانين الادب ولذلك تراهم ينبّهون الولد كلّ ساعة ويزجرونهُ قائلين : انتصب ! قوّم صدرك ! لا تلوِ جسمك ! وغير ذلك من النصائح التي لا تأتي بفائدة لانّ الولد لا يجد في كرسيه الراحة اللائقة لدرسه فلا يمكنهُ الّا الانقياد الى ميل طبيعته »

وممّا يجب ملاحظتهُ كما سبق القول حسن موقع النور في مدارس التلامذة واوفق

---

(١ راجع هذه المجلّة Kleinische Monatsblätter f. Augenheilkunde. XLII, II, 13. 1904

ما يكون ذلك ان يدخل النور من النوافذ الجانبيَّة امَّا من الشمال واماَّ من اليمين ومن اعلاهما . ولا يصلح البتَّة للعين النور الداخل من الامام على وجه الفتية . امَّا الاحداث المصابون بضعف في بصرهم فليستعينوا بالنظَّارات (العوينات) اللائقة لعيونهم

وبخصوص المقاعد والمساند والمناضد فكان الاولى ان يُعطى كلّ دارس مقعداً على قياسه وعلى مقتضى نموّ جسمهِ لكنَّ هذا صعب في المدارس الحافلة لا يمكن الجري عليهِ الَّا في الكتاتيب القليلة الدارسين . وعليهِ فلا بُدَّ لارباب المدارس ان يصطنعوا هذه الكراسيّ والمناضد على معدَّل كبر الاحداث

وقد اخترع الدكتور لبرِش المشار اليهِ جهازاً مدرسيًّا حسناً يُصلح بهِ الخلل المذكور وهذا الجهاز يتركب من طاولة ثابتة لا تتحرك يستند اليها الكبار والصغار معاً امَّا المقعد الذي يجلس عليهِ كلّ دارس فقابلٌ للارتفاع والهبوط على حسب قامتهِ . ووراء المقعد مسند للظهر علوُّ طرفهِ كعلوّ طرف الطاولة . وهو للفتيات اعلى منهُ للصبيان بخمسة سنتمترات (انظر الشكل الاوَّل)

وقد شاع اليوم في المانية جهاز آخر نثبت صورتهُ هنا (انظر الشكل الثاني) وعلى كلّ حال يجب ان يُجعل السند الذي يعتمد عليه الظهر فوق الخاصرتين لئلاَّ يضعف الشلو وينحني الصدر الى الامام . وليكن السند المذكور من خشبة صلبة ممتدَّة افقيًّا ليست بعيدة من طرف الطاولة حتى اذا تحرَّى الدارس الكتابة وجد في وقت كتابتهِ مقوّماً لجسمهِ . امَّا الطاولة فيجب ان تكون منعطفة بحيث تكون زاوية ارتفاعها ذات ١٢ °

وكذلك لا بدَّ ان تكون مناسبة بين الكرسي وساقي الجالس عليهِ لتكون رجلاهُ ثابتتين على الحضيض . كذا ايضاً الطاولة فليكن علوها معتدلاً لكي يتمكَّن الولد ان يعتمد عليها بساعديهِ دون عناء . امَّا عرض المقعد فينبغي ان ينال الفخذين الى المأبض . ولا تكن المسافة بين العين والكتاب او الدفتر دون ثلث المتر . والأولى ان تجهز الطاولة بقرأة قابلة للحركة فيقرّبها الطالب او يبعدها كيف يشاء بحيث يبقى صدرهُ منتصباً وقت درسهِ وكتابتهِ

وكما انَّ الدارس يحتاج الى جهاز حسن ليقوم بواجبات دروسهِ كذلك ينبغي لهُ ان يراعي طريقة الكتابة . قال الكاتب جرج سان : « لا يكون الجسم منتصباً الّا

الذين دون الثامنة من عمرهم بغير القراءة ولا يباشروا بالكتابة ألا اذا اتقنوا قراءة المطبوعات والمخطوطات فيتعلمون الكتابة اسرع واحسن

وان وجد الوالدان او الاساتذة انّ الولد مع مراعاته للشروط السابقة لا يمكنهُ ان يطالع كتابهُ ألّا بالتقرُّب الزائد منهُ فليتّخذ لهُ نظّارات يدفع بها حسَر عينيهِ . امّا اختيار هذه النظّارات فيختلف على حسب اختلاف وقع العينين في محجاجهما وفي جمجمة الرأس فان كان الحجاجان أبعد كانت الزاوية المتركّبة من شعاعي النظر أكبر ومن ثمّ تحتاج العين الى عناء اعظم في تطبيق النظر مع المنظور وهذا الخلل تصلحهُ النظّارات المحدّبة . وبخلاف ذلك الذي يكون حجاجا عينيهِ اقرب تكون الزاوية اصغر وعناء العينين في تطبيق النظر مع المرئيّات اقلّ . والنظّارات المقعَّرة اوفق لحالة نظرهِ والسلام

## مطبوعات شرقية جديدة

REALENCYKLOPAEDIE Herzog-Hauck [3] — *XVI Bd.*, *PREGER-RIEHM*, Hinrichs, 1905

دائرة العلوم البروتستانيّة (الجزء السادس عشر)



إنّ اجزاء الدائرة العلميّة البروتستانيّة التي سبق لنا الكلام عنها غير مرّة تتعاقب بسرعة غريبة فلا تمضي سنة او سنتان حتى تكتمل فتكون بمنزلة مجموع واسع للحوادث المتنوعة والمقالات المتفرقة يستفيد منها ليس فقط البروتستانت الالمانيون الذين كُتبت لهم بل المثقّفون من الكاثوليك ممّن يميّزون الغثّ من السمين ويُفرزون الحق من الباطل . وهذا الجزء الجديد لا يخالف في منهجهِ الاجزاء السابقة . ترى موادَّهُ العلميّة شاملةً خاليةً من الاغراض والاهواء. امّا اذا صار الكلام عن الاصلاح الموهوم او عن الكنيسة الكاثوليكيّة فتتغيَّر اللهجة ويظهر تحامل الكتبة وتطرُّفهم كما ترى في المقالتين المعنونتين « Propaganda » و « Protestantismus » ثمّ ان كثيرًا من المقالات تجحد الوحي جحدًا كاملًا ولا نخالها تنال استحسانًا عند القرّاء البروتستانت اللهمّ عند من بقي فيهم بقيّةٌ من الدين . راجع مثلًا مقالة هذه الدائرة في الديانة ( Religion ) وفي النبوّة ( Prophetentum ) ترَ انّ الدين عند هؤلاء الكتبة مرادف لبعض عواطف تقويّة لا سند لها غير الاوهام البشريّة . وربّما ادّى

بؤلفي هذه الدائرة ميلهم الى انكار الوحي الى ان خلطوا في التعاليم الفلسفيّة والمنطقيّة خلطاً مستهجناً حتى انهم جعلوا في حيز الوحي كلّ ما هو داخل في علم ما فوق الطبيعة ومع هذا اننا نثني على مقالة الدكتور كيتل في المزامير (Psalmen) ومقالة الدكتور بير في مصنوعات العهد القديم (Pseudepigraphen) ومقالة الدكتور كونيغ في التطهيرات (Reinigungen) . وفي بعض المقالات التي استحسنّاها وجدنا خللاً فان المقالات التي عنوانها (Räuche, Räucheraltar, Räucherwerk) لم تذكر اكتشاف الدكتور سلّين لمذبح البخور في تلّ تعنّك (Denks. d. k. Akad. d. Wiss. in Wien 1904, p. 109) وكذلك ضُرب الصفح في مقالة رينودو (Renaudot) عن كتاب الخوري ڤليان (المشرق ٧ : ١١٢٧)

## شرح قانون اصول المحاكمات الجزائية

لسليم افندي باز مفتش عدليّة لبنان سابقاً

(طبع في المطبعة الادبية سنة ١٩٠٥ ص ١٠١٦)

لدن وضع هذا القانون في موقع الاجراء وفقاً للارادة السلطانيّة قد تداولهُ المأمورون المكلَّفون بلزوم العمل بموجبه وتداولتهُ ايدي المترجمين والشرّاح فاحرز كل منهم من ادراك ما فيه وفهم معانيه على قدر همّته واستعانوا على ذلك بالاوامر العالية وبقرار شورى الدولة وقرارات محكمة التمييز السامية الصادرات لاحقاً ايضاحاً لما وجد مشكلاً فيه او قصرت الافهام عن معرفتهِ ثم مُدّت اليه يد الشرّاح من علماء القانون. وقد اجاد كل منهم وافاد الى غاية حدّ علمه وادراكه. ولمّا كان هذا القانون مرتبط المعاني والمباني في غيره من العلم الشرعي والقانوني مثل قانون الجزاء وغيره كان من الاهمية بمكان عالٍ لان البحث فيه يدور على بيان صور الافعال الممنوعة وماهيّتها وعلى الجزاء الذي يترتب على فاعليها صيانةً للامن العام الذي هو نجاح وفلاح العمران البشري في الممالك التي ترى العناية فيه بكل دور وفي كل عصر من الاعصار لاسيما في هذا العصر المقرون باليمن والسعادة في ظل الذات الشاهانية ايد الله شوكتها ولما كان تحديد الفقه الشرعي هو العلم بالمسائل الشرعيّة العملية فالفقه القانوني هو العلم بالمسائل القانونية العملية وموضوع كليهما فصل المرء المكلف من حيث هو حلال او حرام جائز ممنوع كان كل من هذين العلمين مرتبطاً بالآخر والاول هو الاصل والثاني مأخوذ

ومستنبط من ذلك الاصل وعليه فان الفقيه الشرعي له من علمهِ دليل على الفقه القانوني ولا يعكس واذا اجتمعا في واحدٍ حصلت تمام الفائدة وتحصلت الغاية المقصودة من كلا العلمين باطرافها . ولقد توفق الآن الى ذلك جناب الشرعي والقانوني الممتاز عزتلو سليم افندي بن رستم باز اللبناني العثماني مفتش العدلية سابقًا ووكيل المدعي العمومي حالاً في متصرفية جبل لبنان الجليلة فاحرز من ذلك الغاية البعيدة الاثيلة فشمر عن ساعد جده واجتهاده وشرح هذا القانون شرحًا لم يسبق له مثيل ابان فيه عميق كنوزه واماط اللثام عن محيا رموزه واوضح ما فيه من الحقائق باسد الطرائق وارجع الى اصلهِ كل معنى شارد حتى اذا رمتَ ان تعرف حكم مسئلة واقعة رأيت الكلام عنها وعما يتفرع منها ويلامسها في محل واحد باحسن ترتيب واكمل انتظام كالعقد المسمط بالجواهر الكريمة الموضوعة عن كل واحدة منها بالترتيب المتناسق في محلها اللائق وقد وضع له مرشدًا ودليلًا على ترتيب قاموسي يسهّل لمطالعهِ سرعة الكشف عمّا يريد بلا تكلف فهو الكتاب المحكمة شواهده المجموعة شوارده المستطابة والعذبة موارده يصون المأمورين في العمل به عن الخطأ ويمهد لهم طريق السداد علماً وعملًا على انه يجب على من يطالعه ألّا يكون فكره مشغولاً الا فيهِ وان لا يجزئ بالقليل منهُ عن باقيه لانّ الناقص بعضهُ ناقص كلهُ وكما ان الجرعة الواحدة من الماء لا تروي ظماء العطشان فكذا مطالعة بعض ما في هذا الكتاب لا يغني عن الباقي لانهُ سلسلة حكمية مرتبطة الحلقات كل واحدة منها تعين على معرفة ماهية الاخرى فيحصل من ذلك احاطة العلم الكافي بالموضوع واطرافه وفّق الله شارح هذا الكتاب الباهر الذي نقول فيهِ كما قال الشاعر :

كم طيبٍ يفوحُ ولا كمسكٍ وكم طيرٍ يطير ولا كبازِ

طانيوس ابو ناصر المحامي اللبناني المرخّص

MARTIN LEWIN : Die Scholien d. Theodor bar Kônî z. Patriarchengeschichte ( Gen. XII-L ), *Mayer u. Mueller*. 1905 XXXVII - 35

شرح ثاودورس برخوني على سفر التكوين

اوّل من عرّف تاليف ثاردورس برخوني اسقف لاشوم النسطوري هو العلامة الفرنساوي المسيو پونيون قنصل بغداد وحلب سابقًا فذكر سنة ١٨٩٨ كتابهُ في

الهرطقات في تاليفهِ عن كتابات خوابير الندانية (المشرق ٣ : ٩٠) ثم حصل الالماني غوسن على نسخة تتضمن شروحاً على الكتاب الكريم ورسالات دينيَّة مع كتاب الهرطقات فباعتها منهُ مكتبة برلين. وبعد ثلاث سنين وجد الدكتور بومشترك نسخة اخرى من تآليف هذا الكاتب (راجع Oriens Christianus, I. 173) وحصل المسيو يونيون الموما اليهِ على نسخة ثالثة منها كما انَّ مكتبة كمبريج وصفت بعض مقاطيع لبرخوني مصونة في خزانة كتبها. فاعاد العلامة لوفين النظر في كل هذه الاثار الباقية واستفاد منها لتسطير ترجمة حياة ذلك الكاتب وتعريف مصنفاتهِ وتدوين قسم من كتابهِ في شرح سفر التكوين. فجاء هذا التأليف مبتكرًا شاملًا لعدة فوائد جديدة ومما ارتاءهُ جناب المؤلف ان برخوني اقدم عهدًا مما ظن البعض وهو يجعلهُ في اواخر القرن السادس في غرَّة القرن السابع لا في اواخر الثامن كما زعم المسيو يونيون. وكذلك قد اثبت انَّ تفاسير برخوني على الكتاب المقدس مفيدة لدرس الترجمة السريانيَّة البسيطة ولتاريخ زمانهِ لاسيما لتاريخ النساطرة وان لم تجد نفعاً كبيرًا للدروس الكتابيَّة. فنشكر اذن المسيو لوفين على انقطاعهِ لهذا العمل ونحض محبي السريانيَّة على النظر في كتابهِ



Janua Linguæ Ottomanicæ: par le docteur KUNOS IGNACZ, prof. à l'Univ. de Budapest, *Budapest*, 1905, in-4, VIII-524-86

مجموعة لسان عثماني

هذا المجموع يتضمن عدَّة آثار جليلة من اللغة التركيَّة. وهو اشبه بفسيفساء كثيرة الرسوم زهيَّة الالوان فترى فيهِ غراماطيق اللسان العثماني ثمَّ معجمين ومنتخبات ادبيَّة بحرفها التركي وبالحرفي الاوربي ثمَّ اوراقاً شتى من سندات وكتابات تجارية وصكوك وجوالات وقراطيس ماليَّة وفي آخرها تذاكرٍ سرَّنا انا وجدنا فيها تذكرة المؤلف وهي تحتوي على اصلهِ واسمهِ ومهنتهِ وملتهِ الموسويَّة بحروف ناعمة. فترى ما في هذا الكتاب من الفوائد العديدة التي توفر على الطلبة الوسائل لدرس اللغة التركيَّة. فنشكر اذن الشكر الحميم صاحب هذا المجموع الذي بلغ شأوًا لم يبلغهُ سواه اللهمَّ الَّا اصحاب بعض الغراماطيقات الموسعة المحكمة كغراماطيق الاب يوسف ريالي على اننا قد لحظنا ايضاً في تركيب هذا المجموع وتنظيمهِ بعض الخلل فانهُ لم يتبع في تبويب المواد طريقة نظاميَّة ليجعلها اقساماً مباشرةً بالاحوال الصرفية والنحوية تليها

المنتخبات بالحرف الحجري ثمَّ الحرف التركي . وفي اثرها الصكوك والسندات وفي آخرها معجم واحد للالفاظ مع صورتها بالحروف التركيَّة . وكذلك كنا وددنا لو اهمل في منتخباتهِ بعض المقاطيع الغزليَّة والروايات المنافية للادب ل. رتزڤال

# شذرات

المسيح او الضياء — كل مسيحي يعلم ان السيد المسيح رفع الزواج مقاماً وجعلهُ سرًا من اسرارهِ السبعة التي تولي النعمة من يقتبلها على شروط معلومة . على انَّ مجلة الضياء لم تستحسن عمل الربّ لذكرهِ السجود فتجاسرت واثبتت في عددها الاخير الصادر في ٣٠ نوڤمبر (ص ١٠٢) ما حرفهُ

«انَّ حكم العلم والعقل انَّ الزواج شركة مفاوضة يرادبها بقاء النوع والتعاون في جهاد الحياة التماس تخفيف عنائها واستجلاب هنائها فكلّ زواج لم يتوفر فيهِ هذان الشرطان بأتمّ مظاهرها وجب التاؤهُ خلافاً للقائلين بانهُ سرّ علوي لا تقوى يد حاكم ارضيّ على نقضهِ . . . »

ومن ثمَّ على قول مجلة الضياء «يجب الغاء الزواج خلافاً للقائلين بانهُ سرّ» ولمَّا كانت القائلة بذلك هي الكنيسة الكاثوليكيَّة وكل ابنائها في العالم اجمع وفقاً لقول المسيح في انجيلهِ الطاهر وجب معاكستها وردّ قولها لا بل وجب رد تعليم كل النصارى من روم وانكليكان ونساطرة ويعاقبة الذين يعلّمون مع الكنيسة الكاثوليكيَّة بان الزواج سرّ علوي وما هو اغرب من ذلك زعمه بان تعليم الكنيسة «ينافي حكم العلم والعقل» والذي يفتي بهذا القول كاتب من الكاثوليك في مجلة يدَّعي صاحبها انهُ كاثوليكي وقد طالما عرفنا لهُ هذا الروح المخالف للدين منذ ردّ بشيرنا عليهِ قبل عشرين سنة اذ كان ينشئ الطبيب فزيفنا مزاعمهُ مذ ذاك الحين . ثمَّ استلفتنا في مجلّتنا مراراً عديدة نظر القرّاء الى ترّهاتهِ ونقضنا ادلتهُ الواهية وقد سكتنا عنهُ مدةً رجاء ان يلزم طورهُ . وهاءنذا قد عادت لعترها لبس فلا يبقى لنا اذن الّا ان نحض الكاثوليك على اتقاء هذه المجلة التي تطعن في دينهم اذ لا يحل لهم مطالعتها ذمَّةً . وفي هذا العدد نفسهِ (ص ١٠٥) اقوال أُخرى يجاهر بها الكاتب التحامل على الكتاب المقدس حيث ينظم في سالك اساطير الاولين وخرافاتهم ما جاء عن جليات الجبَّار وعن اعمار الآباء . وفي هذا

التنبيه كفاية لأننا لا نرى موجبًا للرد على سفسطة الضياء فضلًا عن ان المشرق زيّف اقوالها سلفًا (راجع مقالة حضرة الاب صالحاني في الطلاق عند المسيحيين) ومقالة سيادة المنسنيور يوسف العلم في اعمار الآباء الاولين (المشرق ٤: ١٥٢)

اوفير وموقعها ❊ تعددت آراء المفسرين في تعريف موقع اوفير المذكورة في الكتب المقدَّسة . ومما ذهب اليه احد العلماء المحدثين المدعو شرل بيترس (C. Peters) انَّ اوفير هي احدى بلاد جنوبي افريقية المعروفة بمشونالند موقعها بين نهري زمبيزي وليمپوپو . وفي العدد الاخير من مجلة التوراة (Biblia, 1905, p. 243) ان العالم المذكور وجد هناك كتابات قديمة حميريّة قرأ واحدة منها الدكتور غلازر الرَّحالة الاثري الالماني فوجد انها ترتقي الى ١٧٠٠ سنة وقد ورد فيها اسم صوفر عاصمة بلاد دحمير سابقًا . ثم وجد آثارًا قديمة في اينانا وكامي من نواحي ماشونالند فنسبها الى قدماء الحميريّين . غير ان عالمًا آخر يدعى « رندل ماك ايفر » انكر عليه قدم هذه الآثار وقد زارها في شهر نيسان من هذه السنة وكتب انها من ابنية القرن الخامس عشر او السادس عشر فقط (راجع OLZ, 1905, p. 467-8)

المستر بورك والتولد الذاتي ❊ أصمّت آذاننا المجلات المصرية كالمقتطف والهلال والضياء بما كتبهُ اصحابها عن اكتشاف المستر بورك في التولد الذاتي منها وكنّا سبقنا (ص ٧٣٢) وابدينا الريب في صحَّة اقوالهم التي يريدون ان يستنتجوا اثباتًا لرأي دروين . واليوم قرأنا للعلامة رمساي (S. W. Ramsey) إمام الكيمويين والطبيعيين في انكلترة فصلًا واسعًا نشره في المجلة «Moniteur scientifique» بيَّن فيه ان الحويصلات التي وجدها المستر بروك في الهلام المعقَّم بواسطة الراديوم ليست هي حويصلات حيَّة وانَّما هي مظاهر كيموية كان لحظها من قبلهِ باعمال برومور الراديوم في هلام معقَّم . ومن ثمَّ صح قولنا سابقًا بان هذا الزعم مجرَّد عن اليقين فيا ليت المجلات المذكورة تصلح قولها لئلا يشيع هذا الرأي اشاعات المجلات المصرية الفاسد بين الشرقيين

## أسئلة وأجوبة

س سأل احد اساتذة البلدة أتكون العبارة « كائنًا ما كان » عربيَّة صحيحة او مستحدثة وكيف تُعرب

العبارة كائناً ما كان

ج هذه العبارة عربيَّة محضة والدليل على ذلك انَّ النحويين خصّصوا لها بحثاً . امَّا اعرابها فقد اختلفوا فيه فمنهم من جعل في قولهم « لاضربنَّهُ كائناً ما كان » ما مصدريَّة وكان تامَّة صلتها وهما في محل رفع بكائن أي لاضربنَّهُ كائناً كونهُ . ومنهم من جعل ما موصولة بمعنى مَن خبراً لاسم الفاعل « كائناً » الناقصة واسمها مقدَّر وفي « كان » ضمير عائد الى ما اسمها والخبر محذوف . اي لاضربنَّهُ كائناً الشخص الذي كان هو ايَّاهُ . وغيرهم يجعل ما نكرة موصوفة بكان التامَّة والمعنى لاضربنَّهُ كائناً شيئاً كان او وُجد . وقد زاد ابن عابدين في رسالته عن اعراب الكلمات الغريبة وجهاً آخر فجعل ما صلة للتوكيد وكائناً وكان تامَّين والمعنى لاضربنَّهُ موجوداً ايّ شخص وُجد صغيراً او كبيراً جليلاً او حقيراً . وقيل غير ذلك

س وسأل الاديب عائيل ابو عبود تحوم ما معنى « دينار مار بطرس »

دينار مار بطرس

ج هي حسنة يتصدَّق بها الكاثوليك لمساعدة الكرسيّ الرسولي وخلف القديس بطرس هامة الرسل وسنفرد لتاريخها مقالة قريباً في المشرق



س سألنا احد ادباء المستشرقين : ١ً من هم الاحابيش الذين ورد ذكرهم في تاريخ العرب ٢ً هل عرف العرب المقلاع واتَّخذوهُ في جملة السلاحهم ٣ً ما معنى اسم معاوية وما اصلهُ وهل تُشدَّد ياؤهُ ٤ً ما اصل العبارة «على رسلك »

الاحابيش — المقلاع — معاوية — على رسلك

ج نجيب على ( الاوَّل ) انَّ الاحابيش قوم من احياء العرب من بني الهون وبني الحرث ابن كنانة وبني المصطلق ابن خزاعة اجتمعوا عند جبل حُبشيّ بأسفل مكَّة وحالفوا قريش فقيل لهم احابيش باسم الجبل . وعلى ( الثاني ) أنَّا لم نجد نصَّاً صريحاً يدلُّ على كون العرب اتخذوا المقلاع في حروبهم لكنَّا لا نشكّ في أنَّهم عرفوهُ واستعملوهُ كما يدلُّ على ذلك وجود اللفظة في اقدم المعاجم العربيَّة . وجوابنا على ( الثالث ) انَّ معاوية بياء مخفَّفة معناها في اللغة الكلبة من عوى اذا نبح وتعاوى القوم تصايحوا على الحرب . والمعاوية ايضاً جرو الثعلب وقيل انَّ اسم العلم منهُ . وعلى ( الرابع ) انَّ الرِسل اللين فقولهم « على رِسلك » اي اعمل بالرفق واللين ولا تُسرع

ل . ش